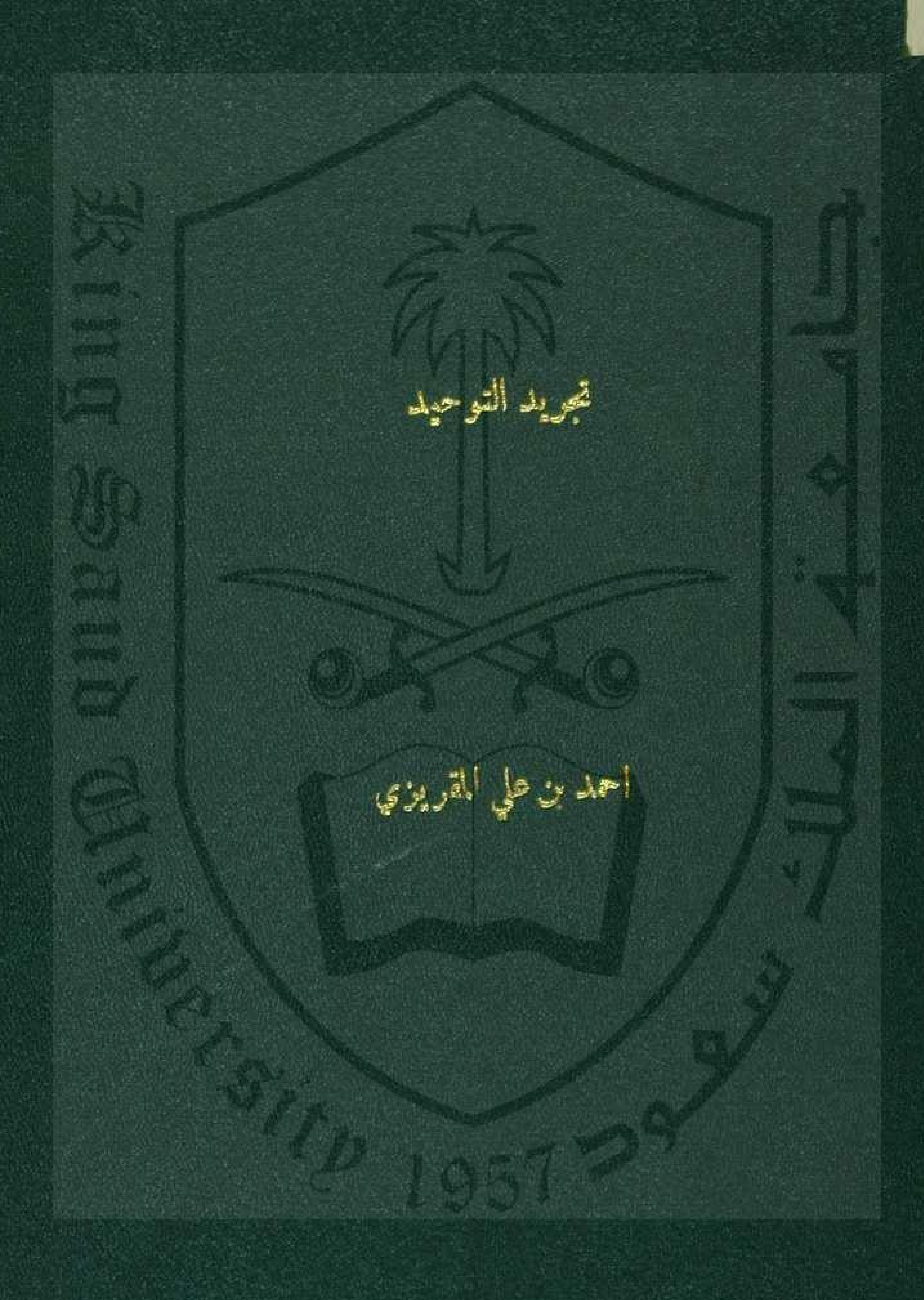


تجريد التوحيد

أحمد بن علي المقريزي

تجريد التوحيد المفيد، تأليف المقريزي، أحمد بن علي
- ٨٤٥هـ. كتبه محمد... جعفر بن مساعد البراوي في
القرن الثالث عشر الهجري تقديرا.
١٧ ق ٢٢ س ١٦x٢٢ سم

نسخة جيده، خطها نسخ معتاد
الاعلام ١ : ١٧٢، الازهرية ٢ : ١١٠
١- اصول الدين أ- المؤلف ب- الناسخ
جـ- تاريخ النسخ.

نوبة الانتفاع به
للعبد الاحقر محمد بن
عبد الله بن حميد
الحنبلي السلفي
كان الله له

١٢٩٥

مجموعة نمرة
٣٣

كتاب تجريد التوحيد
المفيد تاليف الشيخ الامام
الحبر المحدث تقي
الدين احمد بن علي
المقريزي
رحمه الله
تعالى
امين

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي وكفى

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على نبينا
محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد فهذا كتاب جم الفوائد بديع
الفرائد ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة سميته
تجريد التوحيد المفيد والله أسأل العون على العمل بمتنه
اعلم أن الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكه وإلهه
فالرب مصدر رب يرب ربا فهو رب بمعنى قوله تعالى
رب العالمين رب العالمين فإن الرب سبحانه وتعالى
هو الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم وإصلاحهم المتكفل
بصلاحهم من خلق ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا
والإلهية كون العباد تتخذه سبحانه محبوبا مألوها وتفردونه
بالحب والخوف والرجا والإخبات والتوبة والنذر والطاعة
والطلب والتوكل ونحو هذه الأشياء فإن التوحيد حقيقته
أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات عن
الأسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى
وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلق وترك لومهم والرضا
عن الله والتسليم لحكمه وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية
منه تعالى لعباده والتأله من عباده له سبحانه كما أن
الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل واعلم أن أنفس
الأعمال وأجلها قدرا توحيد الله تعالى غير أن التوحيد
له قشران الأول أن تقول بلسانك لا إله إلا الله ويسمى

هذا

هذا القول توحيدا وهو مناقض التثليث الذي تعتقده النصارى
وهذا التوحيد يصدر أيضا من المنافق الذي يخالف سره
جهره والغش الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار
لمفهوم هذا القول بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق
به وهذا هو توحيد عامة الناس ولباب التوحيد
أن يرى الأمور كلها لله تعالى ثم يقطع الالتفات عن
الوسائط وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد
غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من
اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال تعالى أفرأيت
من اتخذ إلهه هواه وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم
يعبده إنما عبد هواه وهو ميل نفسه إلى دين آبائه
فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني
التي يعبر عنها بالهوى ويخرج عن هذا التوحيد السخط
على الخلق والالتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله كيف
يسخط على غيره أو يأمل سواه وهذا التوحيد مقام الصديقين
ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل أقروا
بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السموات والأرض
والقائم بمصالح العالم كله وإنما أنكروا توحيد الإلهية
والمحبة كما قد حكى الله تعالى عنهم في قوله ومن الناس
من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله
والذين آمنوا أشد حبا لله فلما سووا غيره به في هذا
التوحيد كانوا مشركين كما قال الله تعالى الحمد لله
الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور

ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يسوون غيره به وقال الله
تعالى وهم بربهم يعدلون وقد علم الله سبحانه عباده كيفية
مباينة الشرك في توحيد الالهية وانه تعالى بافراده
وليا وحكما وربا فقال تعالى قل اغير الله اتخذ وليا
وقال افغير الله ابتغي حكما وقال قل اغير الله ابغي ربا
فلا ولي ولا حكم ولا رب الا الله الذي من عدل به غيره فقد
اشرك في الوهيته ولو وحد ربوبيته فتوحيد الربوبية
هو الذي اجتمعت فيه الخلايق مومنها وكافرها
وتوحيد الالهية مفرق الطرق بين المومنين والمشركين
ولهذا كانت كلمة الاسلام لا اله الا الله فلو قال
لا رب الا الله لما اجزاه عند المحققين فتوحيد الالوهية هو
المطلوب من العباد ولهذا كان اصله الاله كما هو قول سيبويه
وهو الصحيح وهو قول جمهور اصحابه الا من شذ منهم وبهذا
الاعتبار الذي قررنا به الاله وانه المحبوب لاجتماع صفات
الكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معاني الاسما
الحسنى والصفات العليا وهو الذي ينكره المشركون ويحتج
الرب سبحانه عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد الوهيته
كما قال الله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
آلله خير اما يشركون امن خلق السموات والارض وانزل
لكم من السماء ماء فانبتنا به حدايق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها االه مع الله بل هم قوم يعدلون وكلما ذكر تعالى
من اياته جملة من الجمل قال عقبها االه مع الله فابان سبحانه
بذلك ان المشركين انما كانوا يتوقفون في اثبات توحيد
الالهية

الالهية لا الربوبية على ان منهم من اشرك في الربوبية كما ياتي بعد
ذلك ان شا الله تعالى وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكري الالهية
باثباتهم الربوبية والملك هو الامر الناهي لا يخلق خلقا فيقتضي
ربوبيته ويتركهم سدى معطلين لا يومرون ولا ينهون ولا يثابون
ولا يعاقبون فان الملك هو الامر الناهي المعطي المانع الضار
النافع المثيب المعاقب ولذلك جات الاستعاذة في سورة الناس
وسورة الفلق بالاسماء الحسنى الثلاثة الرب والملك والاله
فانه لما قال اعوذ برب الناس كان فيه اثبات انه خالقهم
وفاطرهم فبقي ان يقال لما خلقهم هل كلفهم وامرهم ونهاهم قيل
نعم فجاء ملك الناس فاثبت الخلق والامر الا له الخلق والامر
فلما قيل ذلك قيل فاذا كان ربا موحدا وملكا مكلفا فهل
يحب ويرغب اليه ويكون التوجه اليه غاية الخلق والامر قيل
اله الناس اي مالوههم ومحبوبهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق
المكلف العابد الا اليه فجات الالهية خاتمة وغاية وما قبلها
كالتوطية لها وهاتان السورتان اعظم عوذة في القران
وجات الاستعاذة بهما وقت الحاجة الى ذلك وهو حين سحر
النبي صلى الله عليه وسلم وخيل له انه يفعل الشي وما فعله
واقام على ذلك اربعين يوما كما في الصحيح وكانت عقد السحر
احدى عشر عقدة فانزل الله المعوذتين احدى عشرة
اية ~~فانحلت بكل اية~~ فانحلت بكل اية عقدة وتعلقت الاستعاذة
في اول القران باسمه الاله الكامل ذي الاسما الحسنى
والصفات العليا المرغوب اليه في ان يعيذ عبده الذي يناجيه
بكلامه من الشيطان الحايل بينه وبين مناجات ربه

ثم انسحب التعلق باسم الاله في جميع المواطن الذي يقال فيها اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم لان اسم الله هو الغاية للاسماء
ولهذا كان ثم اسم بعده لا يتوقف الابد فنقول الله هو السلام
المؤمن المهيمن فالجلالة تعرف غيرها وغيرها لا يعرفها
والذين اشركوا به تعالى في الربوبية منهم من اثبت
معه خالقا اخر وان لم يقولوا انه مكافئ له وهم المشركون
ومن ضاهاهم من القدرية وربوبيته سبحانه للعالم الربوبية
الكاملة المطلقة الشاملة تبطل اقوالهم لانها تقتضي ربوبيته
لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والافعال وحقيقة
قول القدرية المجوسية انه تعالى ليس ربا لافعال الحيوان ولا
تتناولها ربوبيته اذ كيف يتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته
وخلقه وشرك الامم كله نوعان شرك في الالهية وشرك في
الربوبية فالشرك في الالهية والعبادة هو الغالب على اهل الاشراك
وهو شرك عباد الاصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد
المشايخ والصالحين الاحياء والاموات الذين قالوا انما نعبدهم
ليقربونا الى الله زلفى ويشفعون لنا عنده وينالنا بسبب
قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة كما هو المعهود في
الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم اعوان الملك واقاربه
وخاصته والكتب الالهية كلها من اولها الى اخرها تبطل
هذا المذهب وترده وتقبح اهله وتنص على انهم اعداء الله تعالى
وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من اولهم الى
اخرهم وما اهلك الله تعالى من الامم الا بسبب هذا الشرك ومن
اجله واصله الشرك في محبة الله قال تعالى ومن الناس

من يتخذ

من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله فاخبر سبحانه انه من احب مع الله شيئا غيره
كما يحبه فقد اتخذه ندا من دونه وهذا على اصح القولين
في الاية انهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور
في قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون والمعنى على اصح
القولين انهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين
غيره في الحب والعبادة وكذلك قول المشركين في النار لاصنامهم
تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم
قطعا ان هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم
فانهم كانوا كما اخبر الله عنهم مقرين بان الله تعالى
وحده هو ربهم وخالقهم وان الارض ومن فيها لله وحده وانه
رب السموات السبع ورب العرش العظيم وانه سبحانه هو الذي
بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وانما كانت هذه
التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة والعبادة فمن احب
غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى
ويخافه ويرجوه فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله
فكيف بمن كان غير الله اثم عنده واحب اليه واخوف عنده
وهو في رضاته اشد سعيا منه في رضاة الله فاذا كان
المسوي بين الله وبين غيره في ذلك مشركا فما الظن بهذا فعياذا
بالله من ان ينسلخ القلب من التوحيد والاسلام كانسلاخ الحية
من قشرها وهو يظن انه مسلم موحد فهذا احد انواع الشرك والادلة
الدالة على انه تعالى يجب ان يكون وحده هو المالوه يبطل هذا
الشرك ويدحض حجج اهله وهو اكثر من ان يحيط بها الا الله

بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده وكذلك
كل ما امر به فخلقه وامره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم
من العقول شاهد بان الله الذي لا اله الا هو وان كل معبود
سواه باطل وانه هو الحق المبين تقدس وتعالى

وواعجبا كيف يعصى الاله ۞ ام كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة ۞ وتسكينة ابدا شاهد
وفي كل شيء له آية ۞ تدل على انه واحد

النوع الثاني من الشرك به تعالى في الربوبية كشرك من
جعل معه خالقا آخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بان
للعالم ربين احدهما خالق الخير والآخر خالق الشر وكالغلاسفة
ومن تبعهم الذين يقولون بانه لم يصدر عنه الا واحد بسيط وان
مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس وان مصدر هذا العالم
عن العقل الفعال فهو ربه كلما تحته ومدبره وهذا اشر من
عباد الاصنام والمجوس والنصارى وهو اخبث كل شرك في العالم اذ
يتضمن من التعطيل وجحد الالهية والربوبية واسناد الخلق الى
غيره سبحانه ما لم يتضمن شرك امة من الامم وشرك القدرية
مختصر من هذا او باب يدخل منه اليه ولهذا شبههم الصحابة رضي
الله عنهم بالمجوس كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس رضي الله
عنهما وقد روى اهل السنن عنهم ذلك مرفوعا انهم مجوس هذه
الامة وكثيرا ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد احدهما عن
الآخر والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها
مصرحة بالرد على اهل هذا الاشراك كقوله تعالى اياك نعبد
فانه ينفي شرك المحبة والالهية وقوله واياك نستعين
فانه

الثنوى

ويقولون لرب الخير يزدان وللشر اهرمن

ينفي شرك الخلق والربوبية فتضمنت هذه الآية تجريد
التوحيد لرب العالمين في العبادة وانه لا يجوز اشراك غيره
معه لا في الافعال ولا في الالفاظ ولا في الارادات فالشرك به في
الافعال كالسجود لغيره سبحانه والطواف بغير بيته المحرم وحلق الرأس
عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الاحجار غير الحجر الاسود الذي
هو يمينه تعالى في الارض او تقبيل القبور واستلامها والسجود لها
وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من اتخذ قبور الانبيا والصالحين
مساجد يصلي فيها فكيف من اتخذ القبور اوثانا تعبد من
دون الله فهذا لم يعلم معنى قول الله تعالى اياك نعبد وفي
الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله اليهود والنصارى
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفيه عنه ايضا ان من شرار الناس
من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد
وفيه ايضا عنه صلى الله عليه وسلم ان من كان قبلكم كانوا يتخذون
القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك
وفي مسند الامام احمد وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه
وسلم لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج
وقال اشتد غضب الله على اقوام اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
وقال ان من كان قبلكم كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على
قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة اولئك شرار الخلق
عند الله والناس في هذا الباب اعني زيارة القبور ثلاثة
اقسام قوم يزورون الموتى فيدعون لهم وهذه هي
الزيارة الشرعية وقوم يزورونهم يدعون بهم وهؤلاء هم
المشركون في الالوهية والمحبة وقوم يزورونهم فيدعونهم

عموم

ص قوم

ص الصور

لعله
حمى

اعظم وهؤلاء المشركون في الربوبية وقد قال صلى الله عليه وسلم
جانب التوحيد اعظم حماية تحقيقا لقوله تعالى اياك نعبد حتى نهى
عن الصلاة في هذين الوقتين ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين
يسجدون لها في هاتين الحالتين وسد الذريعة بان منع من الصلاة
بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين الذين يسجد
المشركون فيهما للشمس واما السجود لغير الله فقد قال عليه
الصلوة والسلام لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد الا لله ولا ينبغي
في كلام الله ورسوله انما يستعمل للذي هو في غاية الامتناع كقوله
تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وقوله تعالى وما علمناه
الشعر وما ينبغي له وقوله تعالى وما تنزلت به الشياطين وما
ينبغي لهم وقوله تعالى ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من
دونك من اولياء ومن الشرك بالله تعالى المباين لقوله تعالى اياك نعبد
الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه الامام احمد وابو داود
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد اشرك صححه الحاكم
وابن حبان قال بن حبان اخبرنا الحسن وسفيان ثنا عبد الله ابن
عمر الجعفي ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن الحسن بن عبد الله
النخعي عن سعد بن عبيدة قال كنت عند ابن عمر رضي الله عنهما
فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر ويحك لا تفعل فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من حلف بغير الله تعالى فقد اشرك ومن
الاشراك قول القائل لاحد من الناس ما شا الله وشئت كما ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل ما شاء الله وشئت فقال
أجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده هذا مع ان الله قد اثبت
للعبد مشيئة كقوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم فكيف بمن يقول
انا

انا متوكل على الله وعليك وانا في حسب الله وحسبك وما لي الا الله
وانت وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك
والله لي في السماوات وانت لي في الارض وزن بين هذه الالفاظ الصادرة
من غالب الناس اليوم وبين ما نهى عنه من ما شاء الله وشئت ثم
انظر ايهما افحش يتبين لك ان قايلها اولى بالبعد من اياك نعبد وبالجواب
من النبي صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان
قد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ندا لله بهذا فقد جعل من لا يدانيه
لله ندا وبالجملة فالعبادة المذكورة في قوله اياك نعبد هي السجود
والتوكل والانابة والتقوى والخشية والتوبة والنذور والحلف
والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الراس
خضوعا وتعبدا والدعا كل ذلك حق الله تعالى وفي مسند الامام
احمد ان رجلا اتي به النبي صلى الله عليه وسلم قد اذنب ذنبا فلما
وقف بين يديه قال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله
عليه وسلم عرف الحق لاهله وخرجه الحاكم من حديث الحسن عن
الاسود ابن سريع وقال حديث صحيح واما الشرك في الارادات والنيات
فذلك البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن نوى بعمله غير
وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة قوله اياك نعبد فان اياك نعبد هي
الحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام التي امر الله بها عباده كلهم
ولا يقبل من احد غيرها وهي حقيقة الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين واستمسك بهذا
الاصل ورد ما اخرجه المبتدعة والمشركون اليه تحقق معنى
الكلمة الالهية فان قيل المشرك انما قصد تعظيم جناب الله
تعالى وانه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه الا بالوسايط والشفعا

تدخلني

كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية وانما
قصد تعظيمه وقال انما اعبد هذه الوسايط لتقربني اليه وتدخلني
عليه فهو الغاية وهذه وسايل فلم كان هذا القدر موجبا
لسخط الله تعالى وغضبه ومخلدا في النار وموجبا لسفك دمائهم
واستباحة حريمهم واموالهم وهل يجوز في العقل ان يشرع الله
تعالى لعباده التقرب اليه بالشفعاء والوسايط فيكون تحريم
هذا انما استفيد بالشرع فقط ام ذلك قبيح في الشرع والعقل يمتنع
ان تاتي به شريعة من الشرايع وما السر في كونه لا يغفر من بين
ساير الذنوب كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا قلنا الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود واسمايه
وصفاته وافعاله وشرك في عبادته ومعاملته وان كان صاحبه
يعتقد انه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته واما الشرك الثاني
فهو الذي فرغنا من الكلام فيه واشرنا اليه الان وسنشبع الكلام
فيه ان شاء الله تعالى اما الشرك الاول فهو نوعان **احدهما**
شرك التعطيل وهو اقبح انواع الشرك كشرك فرعون في قوله وما
رب العالمين وقال لهامان ابن لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى
واني لاظنه من الكاذبين والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك
معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم اصل التعطيل بل قد
يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وصفاته ولكنه معطل حق التوحيد
واصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة
اقسام احدها تعطيل المصنوع عن صانعه الثاني تعطيل الصانع
عن كماله الثابت له الثالث تعطيل معاملته عما يجب على العبد
من حقيقة التوحيد ومن هذا الشرك اهل الوحدة ومنه
شرك

الله

بلغ

شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وابديته وان الحوادث باسرها
مستندة الى اسباب ووسايط اقتضت ايجادها يسمونها العقول
والنفوس ومنه شرك معطلة الاسما والصفات كالجهمية
والقرامطة وغلاة المعتزلة **النوع** الثاني شرك التمثيل وهو
شرك من جعل معه تعالى الها اخر كالنصارى في المسيح واليهود
في عزير والمجوس القايلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث
الشر الى الظلمة وشرك القدرية المجوسية مختصر منه وهولاء اكثر
مشركي العالم وهم طوايف جمة منهم من يعبد اجزاء سماوية
ومنهم من يعبد اجزاء ارضية ومن هولاء من يزعم ان معبوده اكبر
الالهية ومنهم من يزعم انه اله من جملة الالهة ومنهم
من يزعم انه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه اقبل عليه واعتنى
به ومنهم من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى الاعلى الفوقاني
والفوقاني يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه تلك الالهة الى
الله سبحانه فتارة تكثر الوسايط وتارة تقل **فاذا** عرفت
هذه الطوايف وعرفت اشتداد نكير الرسول صلى الله
عليه وسلم على من اشرك به تعالى في الافعال والاقوال والارادات
كما تقدم ذكره انفتح لك باب الجواب عن السوال فنقول **اعلم**
ان حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق
اما الخالق فان المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصايص الالهية
وهي التفرد بملك الضر والنفع والعطا والمنع فمن ذلك بمخلوق
فقد شبهه بالخالق تعالى وسوى بين التراب ورب الارباب
فاي فجور وذنب اعظم من هذا **واعلم** ان من خصايص الالهية
الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من

علق م

الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة له وحده عقلاً وشرعاً وفطرة
فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن لا شبه له ولشدة قبحه
وتضمنه غاية الظلم اخبر من كتب على نفسه الرحمة انه لا يغفره ابداً
ومن خصائص الالهية العبودية التي لا تقوم الا على
ساقي الحب والذل فمن اعطاهما لغيره فقد شبهه بالله سبحانه وتعالى
في خالص حقه وقبح هذا مستقر في العقول والفطر لكن لما غيرت الشياطين
فطر اكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وامرتهم ان يشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطاناً كما روى ذلك عن الله اعرف الخلق به وبخلقه
عموا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً ومن خصائص الالهية السجود
فمن سجد لغيره فقد شبهه به ومنها التوكل على غيره فقد شبهه
به ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به ومنها الحلف باسمه
فمن حلف بغيره فقد شبهه به ومنها الذبح لغيره فمن ذبح لغيره فقد
شبهه به ومنها حلق الراس الى غير ذلك هذا في جانب التشبيه واما
في جانب التشبه فمن تعاظم وتكبر ودعى الناس الى اطرائه
ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وهو
حقيق بان يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذر تحت اقدام
خلقه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز
وجل العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما
عذبته واذا كان المصور الذي يصنع الصور بيده من اشد
الناس عذاباً يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة فما الظن
بالمتشبه بالله في الربوبية والالهية كما قال صلى الله عليه وسلم
اشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم احيوا ما خلقتم
وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل ومن

فمن توكل م



الظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فنبه بالذرة
والشعيرة على ما هو اعظم منها وكذلك من تشبه به تعالى في الاسم
الذي لا ينبغي الا له كملك الملوك وحاكم الحكام وقاضي القضاة ونحوه
وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
اخنع الاسماء عند الله رجل تسمى شاهنشاه ملك الملوك
لا ملك الا الله وفي لفظ اغيظ رجل عند الله رجل تسمى بملك الاملاك
وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك ولذلك كان من ظن
انه اذا تقرب الى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير اليه تعالى فانه
فانه يخطئ لكونه شبهه به واخذ ما لا ينبغي ان يكون الا له فالشرك
معه سبحانه حقه فهذا قبيح عقلاً وشرعاً ولذلك لم يشرع ولم
يغفر فاعله واعلم ان الذي ظن ان الرب سبحانه لا يسمع له او لا
يجيب له الا بواسطة تطلعه على ذلك او سال ذلك منه فقد ظن بالله
ظن السوء فانه ان ظن انه لا يعلم او لا يسمع الا باعلام غيره له
واسماعه ذلك نفى لعلم الله وسمعه وكمال ادراكه وكفى بذلك
ذنباً وان ظن انه يسمع ويرى ولكن يحتاج الى من يلينه ويعطفه عليهم
فقد اساء الظن بافضال ربه وبره واحسانه وسعة جوده وبالجملة
فاعظم الذنوب عند الله تعالى اساءة الظن به ولهذا يتوعدهم في
كتابه على اساءة الظن به اعظم وعيد كما قال تعالى
الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم
ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وقال تعالى عن خليله ابرهيم
عليه السلام ائفكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب
العالمين اي فما ظنكم ان يجازيكم اذا عبدتم معه غيره وظننتم انه
يحتاج في الاطلاع على ضرورات عباده لمن يكون باباً للحوائج

اليه ونحو ذلك وهذا بخلاف الملوك فانهم محتاجون الى الوسائط
ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن ادراك حوائج
المضطرين فاما من لا يشغله سمع عن سمع وسبقت رحمته غضبه وكتب
على نفسه الرحمة فما تصنع الوسائط عنده فمن اتخذ واسطة بينه وبين
الله تعالى فقد ظن به اقبح الظن ومستحيل ان يشرعه لعباده بل
ذلك ممتنع في العقول والفطر واعلم ان الخضوع والتاله الذي
يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه كما قررناه لاسيما اذا كان
المجعول له ذلك عبد الملك العظيم الرحيم القريب المجيب ومملوكا له
كما قال ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما
رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي اذا كان احدكم
يانف ان يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف تجعلون لي من عبيدي
شركاء فيما انا منفرد به وهو الالهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح
لسوائي فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي
وبالجملة فما قدروا الله حق قدره من عبد معه من ظن انه يوصل
اليه قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من
دون الله لن يخلقوا ذبابا الاية الى ان قال ما قدروا الله حق قدره
ان الله لقوي عزيز وقال ما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه
وتعالى عما يشركون فما قدر القوي العزيز حق قدره من اشرك
معه الضعيف الذليل واعلم انك اذا تاملت جميع طوائف الضلال
والبدع وجدت اصل ضلالهم راجعا الى شيئين احدهما ظنهم بالله ظن
السوء والثاني انهم لم يقدروا الرب حق قدره فلم يقدره حق قدره
من ظن انه لم يرسل رسولا ولا انزل كتابا بل ترك الخلق

سدى

سدى وخلقهم عبثا ولا قدره حق قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها
بافعال عباده من طاعاتهم ومعاصيهم واخرجها عن خلقه وقدرته
ولا قدروا الله حق قدره اضداد هؤلاء الذين قالوا انه
يعاقب عبده على ما لم يفعله بل يعاقبه على فعله هو سبحانه
واذا استحال في العقول ان يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه
عليه فكيف يصدر هذا من اعدل العادلين وقول هؤلاء شر
من اشباه المجوس القدرية الاذلين ولا قدره حق قدره من نفى
رحمته ومحبته ورضاه وغضبه وحكمته مطلقا وحقيقة فعله
ولم يجعل له فعلا اختياريا بل افعاله مفعولات منفصلة عنه ولا قدره
حق قدره من جعل له صاحبة وولدا او جعله يحل في مخلوقاته او
جعله عين هذا الوجود ولا قدره حق قدره ~~حق قدره~~ من قال انه
رفع اعداء رسوله واهل بيته وجعل فيهم الملك ووضع اولياء رسوله
واهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح في الرب تعالى الله عن قول الرافضة
وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول رب العالمين
انه ارسل ملكا ظالما فادعى النبوة وكذب على الله ومكث زمنا طويلا
يقول امرني بكذا ونهاني عن كذا ويستبيح دماء انبياء الله وانبيائه
واحبائه والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الادلة والمعجزات
على صدقه ويقبل بقلوب الخلق واجسادهم اليه ويقيم دولته
على الظهور والزيادة ويذل اعداءه اكثر من ثمانمائة عام
فوازن بين قول هؤلاء وقول اخوانهم من الرافضة تجد القولين
سواء ولا قدره حق قدره من زعم انه لا يحيي الموتى ولا يبعث من
في القبور ليبين لعباده الذي كانوا فيه يختلفون ويعلم الذين
كفروا انهم كانوا كاذبين وبالجملة فهذا باب واسع والمقصود ان

كل من عبد مع الله غيره فانما عبد شيطانا قال تعالى الم اعهد
اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان فما عبد احد احدا من
بني ادم كائنا ما كان الا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع
العابد في تعظيمه لو اشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضى
الشيطان ولهذا قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن
قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم وقال اولياؤهم من
الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت
لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك فهذه
اشارة لطيفة الى السر الذي لاجله كان الشرك اكبر الكبائر
عند الله وانه لا يغفر بغير التوبة منه وانه موجب للخلود في
العذاب العظيم وانه ليس تحريمه وقبحه لمجرد النهي عنه فقط بل يستحيل
على الله سبحانه وتعالى ان يشرع لعباده الها غيره كما
يستحيل عليه ما ينافي اوصاف كماله ونعوت جلاله واعلم
ان الناس في عبادة الله تعالى والاستعانة به على اربعة اقسام
اجلها وافضلها اهل العبادة والاستعانة بالله عليها فعبادة
الله غاية مرادهم وطلبهم منه ان يعينهم عليها ويوفقهم للقيام
بها نهاية مقصودهم ولهذا كان افضل ما يسال الرب
تعالى الاعانة على مرضاته وهو الذي علم النبي صلى الله عليه
وسلم لمعاذ بن جبل قال يا معاذ والله اني احبك فلا
تدع ان تقول في دبر كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك فانفع الدعاء طلب العون على مرضاته
تعالى ويقابل هولا القسم الثاني المعرضون عن عبادته والاستعانة
به فلا عبادة لهم ولا استعانة بل ان ساله تعالى احدهم واستعانه

به في حظوظه وشهواته والله سبحانه يساله من في
السموات والارض ويساله اولياؤه واعداؤه فيمد هولاء وهولاء
وابغض خلقه اليه ابليس ومع هذا اجاب سواله وقضى حاجته
ومتعه بها ولكن لما لم تكن عونا على مرضاته كانت زيادة في
شقوته وبعده وهكذا كل من ساله تعالى واستعان به
على ما لم يكن عونا له على طاعته كان سواله مبعدا عن الله وطريدا
الغافل هذا او ليعلم ان اجابة الله لسوال بعض السائلين ليس
لكرامته عليه بل قد يساله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه
ويكون منعه منها حماية له وصيانة والمعصوم من عصمه الله
وللانسان على نفسه بصيرة وعلامة هذا انك ترى من صانه الله
من ذلك وهو يجهل حقيقة الامر اذا راه سبحانه يقضي حوائج غيره
سيئ ظنه به تعالى وقلبه محشو بذلك وهو لا يشعر وامارة ذلك
حمله على الاقدار وعتابه في الباطن لها ولقد كشف الله تعالى هذا
المعنى غاية الكشف في قوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه
فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه
رزقه فيقول ربي اهانن كلا اي ليس كل من اعطيته ونعمته
وخولته فقد اكرمته وما ذاك لكرامته علي ولكنه ابتلاء مني وامتحان
له اشكرني فاعطيه فوق ذلك ام يكفرني فاسلبه واحوله عنه
لغيره وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر
لا يفضل عنه فذاك من هوانه علي ولكنه ابتلاء وامتحان مني ايصبر
فاعطيه اضعاف ما فاته ام يسخط فيكون حظه السخط بالجملة
فاخبر تعالى ان الاكرام والاهانة لا تدور على المال وسعة
الرزق وتقديره فانه سبحانه يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر

على المومن لا لهوانه عليه وانما يكرم سبحانه من يكرم من
عباده بان يوفقه لمعرفته ومحبته وعبادته واستعانته
فعادة سعادة الابد في عبادة الله والاستعانة بها عليه
القسم الثالث من له نوع عبادة بلا استعانة وهولاء نوعان احدهما
اهل القدر القايلون بانه سبحانه قد فعل بالعبد جميع مقدوره
من الالطاف وانه لم يبق في مقدوره اعانة له على الفعل فانه
قد اعانه بخلق الالات وسلامتها وتعريف الطريق وارسال الرسول
وتمكينه من الفعل فلم يبق بعدها اعانة مقدوره يساله اياها
وهولاء مخذولون موكلون الى انفسهم مسدود عليهم طريق
الاستعانة والتوحيد قال ابن عباس رضي الله عنهما الايمان
بالقدر نظام التوحيد فمن امن بالله وكذب بقدره نقض توحيده
النوع الثاني من لهم عبادة واوراد ولكن حظهم ناقص من
التوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الاسباب بالقدر وانها
بدون المقدور كالموات الذي لا تاثير له كالعدم الذي لا وجود له
وان القدر كالروح المحرك لها والمعول على المحرك الاول فلم تنفذ
بصايرهم من السبب الى المسبب ومن الالة الى الفاعل فقل نصيبهم من
الاستعانة وهولاء لهم نصيب من التصرف بحسب استعانتهم وتوكلهم
ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم ولو
توكل العبد على الله حق توكله في ازالة جبل عن مكانه لازاله
فان قيل ما حقيقة الاستعانة عملا قلنا هي التي يعبر عنها بالتوكل وهي
حالة للقلب تنشا عن معرفة الله وتفرده بالخلق والامر والتدبير
والضر والنفع وانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن فتوجب اعتمادا
عليه وتفويضا اليه وثقة به فيصير نسبة العبد اليه تعالى نسبة الطفل

الى ابويه

الى ابويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته فلو دهمه ما عسى ان يدهمه
من الافات لا يلتجي الى غيرهما فان كان العبد مع هذا الاعتماد
من اهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه
اي كافيه القسم الرابع من له استعانة بلا عبادة وتلك حال من
شهد تفرد الله بالضر والنفع ولم يدر ما يحبه ويرضاه فتوكل
عليه في حظوظه فاسعفه بها وهذه لا عاقبة له سواء كانت
اموالا او رياسات او جاها عند الخلق او نحو ذلك فذلك حظه
من دنياه واخرته واعلم ان العبد لا يكون متحققا بعبادة
الله تعالى الا باصلين احدهما متابعة الرسول صلى الله عليه
وسلم والثاني اخلاص العبودية والناس في هذين الاصلين
اربعة اقسام اهل الاخلاص والمتابعة فاعمالهم كلها لله
واقوالهم ومنعهم وعطاؤهم وحبهم وبغضهم كل ذلك لله تعالى
لا يريدون من العباد جزاء ولا شكورا اعدوا الناس كاصحاب القبور
لا يملكون ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا والاخلاص
هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عملا سواه ابتغاء منه وهو
الذي الزم عباده به الى الموت قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
وقال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
واحسن العمل اخلصه واصوبه فالخالص ان يكون لله والصواب
ان يكون على وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو
العمل الصالح المذكور في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا وهو العمل الحسن في قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله
وهو محسن وهو الذي امر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كل عمل

فانما يعامل احد من الخلق الا
لجهله بالله وجهله بالخلق

ليس عليه امرنا فهو رد وكل عمل بلا متابعة فانه لا يزيد
عامله الا بعدا من الله فان الله تعالى انما يعبد بامره لا بالا
والارا الضرب الثاني من لا اخلاص له ولا متابعة وهو
لاستوار الخلق وهم المتزينون باعمال الخير يراؤون بها
الناس وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من
المتشبعين الى الفقه والعلم والفقر والعبادة فانهم يرتكبون البدع
والضلال والرياء والسمعة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وفي
اضراب هولاء نزل قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما
اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب ولهم عذاب اليم الضرب الثالث من هو مخلص في
اعماله لكنها على غير متابعة الامر كجهال العباد المنتسبين الى الزهد
والفقر وكل من عبد الله على غير مراده والمغالين ليس
في عبادة الله كما اراد الله ومنهم من يمكث في خلوته
تاركا للجمعة ويرى ذلك قربة ويرى مواصلة صوم
النهار بالليل قربة وان صيام يوم الفطر قربة وامثال ذلك
الضرب الرابع من اعماله على متابعة الامر لكنها لغير الله
تعالى كطاعات المرائين وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية
وشجاعة وللمغنم والحج ليقال ويقرا ليقال ويعلم ويولف ليقال
فهذه اعمال صالحة لكنها غير مقبولة قال تعالى وما
امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فلم يومر
الناس الا بالعبادة على المتابعة والاخلاص فيها والقائم
بهما اهل اياك نعبد واياك نستعين ثم اهل مقام اياك نعبد
لهم في افضل العبادة وانفعها واحقها بالايثار والتخصيص

اربعة

اربعة طرق وهم في ذلك اربعة اصناف الصنف الاول عندهم
انفع العبادات وافضلها اشقها على النفوس واصعبها قالوا لانه
ابعد الاشياء من هواها وهو حقيقة التعبد والاجر على قدر
المشقة ورووا حديثا ليس له اصل افضل الاعمال احمزها اي
اصعبها واشقها وهولاء هم ارباب المجاهدات والجور على
النفوس قالوا وانما تستقيم النفوس بذلك اذ طبعها الكسل والمهانة
والاخلاد الى الراحة فلا تستقيم الا بركوب الاهوال وتحمل المشا
الصنف الثاني قالوا افضل العبادات وانفعها التجرد والزهد
في الدنيا والتقلل منها غاية الامكان واطراح الاهتمام بها
وعدم الاكتراث لما هو منها ثم هولاء قسمان فعوامهم ظنوا
ان هذا غاية فشمروا اليه وعملوا عليه وقالوا هو افضل من
درجة العلم والعبادة وراوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة
وراسها وخواصهم راوا هذا مقصودا لغيره وان المقصود
به عكوف القلب على الله تعالى والاستغراق في محبته والانابة
اليه والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته فراوا افضل العبادات
دوام ذكره بالقلب واللسان ثم هولاء قسمان فالعارفون اذا جاء
الامر والنهي بادروا اليه ولو فرقهم واذهب جمعيتهم والمنحرفون
منهم يقولون المقصود من القلب جمعيته فاذا جاء ما يفرقه عن
الله لم يلتفت اليه ويقولون يطالب بالاوراد من كان غافلا
فكيف بقلب كل اوقاته ورد ثم هولاء ايضا قسمان منهم من يترك
الواجبات والفرائض لجمعيته ومنهم من يقوم بها ويترك السنن
والنوافل وتعلم العلم النافع لجمعيته والحق ان الجمعية حظ القلب
واجابة داعي الله حق الرب فمن اثر حق نفسه على حق ربه

فليس من شي الصنف الثالث راوا ان افضل العبادات ما كان فيه نفع متعد فراوه افضل من النفع القاصر فراوا خدمة الفقرا والاشتغال بمصالح الناس وقضا حوايجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع
افضل لقوله صلى الله عليه وسلم الخلق عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله قالوا وعمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفاع متعد الى الغير فاين احدهما من الاخر ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقد قال صلى الله عليه وسلم لعلي لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وقال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيا وقال ان الله وملايكته يصلون على معلمي الخير وقال ان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في البحر والنملة في جحرها قالوا وصاحب العبادة اذا مات انقطع عمله وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي تسبب فيه والانبيا عليهم السلام انما بعثوا بالاحسان الى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع ولهذا انكر النبي صلى الله عليه وسلم على اوليك النفر الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس وراى هولاء ان التفرغ لنفع الخلق افضل من الجمعية على الله بدون ذلك قالوا ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الامور الفاضلة الصنف الرابع قالوا افضل العبادة العمل على مرضات الرب سبحانه واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته فافضل العبادات في وقت الجهاد الجهاد وان ال الى ترك الاوراد من صلاة الليل وصيام النهار بل من ترك اتمام صلاة الفرض كما في حالة

الامن

الامن والافضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به والافضل في اوقات السحر الاشتغال بالصلاة والقران والذكر والدعا والافضل في وقت الاذان ترك ما هو فيه من الاوراد والاشتغال باجابة المؤذن والافضل في اوقات الصلوات الخمس الجد والاجتهاد في ايقاعها على اكمل الوجوه والمبادرة اليها في اول الوقت والخروج الى المسجد وان بعد والافضل في اوقات ضرورة المحتاج المبادرة الى مساعدته بالجاه والمال والبدن والافضل في السفر مساعدة المحتاج واعانة الرفقة وايثار ذلك على الاوراد والخلوة والافضل في وقت قراة القران جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على تنفيذ اوامره اعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك والافضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعا والذكر والافضل في ايام عشر ذي الحجة الاكثار من التعبد لاسيما التكبير والتهليل والتحميد وهو افضل من الجهاد غير المتعين والافضل في العشر الاواخر من رمضان لزوم المساجد والخلوة فيها مع الاعتكاف والاعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم حتى انه افضل من الاقبال على تعليمهم العلم واقرائهم القران عند كثير من العلماء والافضل في وقت مرض اخيك المسلم عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك والافضل في وقت نزول النوازل واذاء الناس لك اداء واجب الصبر مع خلطتك لهم والمومن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المومن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وخلطتهم في الخير افضل من عزلتهم فيه

وعزلتهم في الشر افضل من خلطتهم فيه قال علم انه اذا خالطهم
اذاه وقلله مخالطتهم خير من اعتزالهم وهولاء هم اهل التعبد
المطلق والاصناف التي قبلهم اهل التعبد المقيد فمتى خرج
احدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى
نفسه كانه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله
على وجه واحد وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد
بعينه يوثره على غيره بل غرضه تتبع رضات الله تعالى
ان رايت العلما رايته معهم وكذلك في الذاكرين والمتصدقين
وارباب الجمعيه وعكوف القلب على الله فهذا هو العبد الجامع
السائر الى الله في كل طريق والوافد عليه مع كل فريق واستحضر
هنا حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقول النبي صلى الله
عليه وسلم بحضوره هل منكم احد اطعم اليوم مسكينا قال ابو بكر انا
قال هل منكم احد اصبح اليوم صائما قال ابو بكر انا قال هل
منكم احد عاد اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال هل منكم احد
تبع اليوم جنازة قال ابو بكر انا الحديث هذا الحديث روي
من طريق عبد الغني بن ابي عقيل حدثنا نعيم بن سالم عن
انس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في جماعة من اصحابه فقال من صام اليوم قال ابو بكر انا
قال من عاد اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال من شهد اليوم
جنازة قال ابو بكر انا قال وجبت لك وجبت لك يعني
الجنة ونعيم بن سالم وان تكلم فيه لكن تابعه سلم بن وردان
وله اصل صحيح من حديث مالك عن محمد بن شهاب عن حميد بن عبد
الرحمن بن عوف عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قال من انفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة
يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة نودي من باب
الصلاة ومن كان من اهل الجهاد نودي من باب الجهاد ومن
كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل
الصيام دعي من باب الريان فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
ما على من يدعى من هذه الابواب من ضرورة فهل يدعى احد
من هذه الابواب كلها قال نعم وارجو ان تكون منهم هكذا
رواه عن مالك موصولا مسندا يحيى بن يحيى ومعن بن عيسى
وعبد الله ابن المبارك ورواه يحيى بن بكير وعبد الله بن يوسف
عن مالك عن ابن شهاب عن حميد مرسلا وليس هو عند القعنبي لا
مرسلا ولا مسندا ومعنى قوله من انفق زوجين يعني شيئين من نوع
واحد نحو درهمين او دينارين او فرسين او قميصين وكذلك من
صلى ركعتين او مشى في سبيل الله تعالى خطوتين او صام يومين
ونحو ذلك وانما اراد والله اعلم اقل التكرار واقل وجوه
المداومة على العمل من اعمال البر لان الاثنين اقل الجمع فهذا
كالغيث اين وقع نفع صحب الله بلا خلق وصحب الخلق بلا نفس اذا كان
مع الله عزل الخلائق من البين وتخلى عنهم واذا كان
مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها فما اغربه بين
الناس وما اشد وحشته منهم وما اعظم انسه بالله وفرحه
بها وطمانينته وسكونه اليه واعلم ان للناس في منفعة العباد
وحكمتها ومقصودها طرائق وهم في ذلك اربعة اصناف الصنف
الاول نفاة الحكم والتعليل الذين يردون الامر الى نفس
المشيئة وصرف الارادة فهولاء عندهم القيام بها ليس الا

لعله يريدون

صح

لمجرد الامر من غير ان تكون سببا للسعادة في معاش ولا معاد ولا
سببا للنجاة وانما القيام بها لمجرد الامر ومحض المشيئة كما قالوا
في الخلق لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به ولا لحكمة تعود
اليه منه وليس في المخلوقات اسباب تكون مقتضيات لاسبابها
وليس في النار سبب للاحراق ولا في الماء قوة الاغراق ولا التبريد
وهكذا الامر عندهم سواء لا فرق بين الخلق والامر لا فرق
في نفس الامر بين المامور والمحظور ولكن المشيئة اقتضت امره بهذا
ونهيه عن هذا من غير ان يقوم بالمامور صفة تقتضي حسنه ولا ق
بالمنهي عنه صفة تقتضي قبحه ولهذا الاصل لوازم وفروع كثيرة وهولاء
غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذتها ولا يتنعمون بها ولهذا
يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والاخلاص
ونحو ذلك تكاليف اي كلفوا بها ولو سمى مدعي محبة ملك من
الملوك او غيره ما يامره به تكليفا لم يعد محبا له واول من صدرت
عنه هذه المقالة الجعد ابن درهم الصنف الثاني القدرية النفاة
الذين يثبتون نوعا من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع
اليه بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته فعندهم ان العبادات
شرعت اثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم وانها بمنزلة
استيفاء الاجير اجره قالوا ولهذا يجعلها سبحانه عوضا كقوله
ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي الصحيح انما هي اعمالكم
احصيها عليكم ثم اوفيكم اياها قالوا وقد سماها جزاء واجرا
وثوابا لانه شيء يثوب الى العامل من عمله اي يرجع اليه
قالوا ويدل عليه الموازنة فلولا تعلق الثواب بالاعمال
عوضا

عوضا عليها لم يكن للموازنة ~~فلولا تعلق الثواب بالاعمال عوضا عليها~~
~~لم يكن للموازنة~~ معنى وهاتان الطائفتان متقابلتان فالجبرية
لم تجعل للاعمال ارتباطا بالجزاء البتة وجوزت ان يعذب الله من
افنى عمره في الطاعة وينعم من افنى عمره في مخالفته وكلاهما سواء
بالنسبة اليه والكل راجع الى محض المشيئة والقدرية اوجبت
عليه سبحانه رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الاعمال
وان وصول الثواب الى العبد بدون عمله فيه تنغيص باحتمال
منة الصدقة عليه بلا ثمن فجعلوا تفضله سبحانه على عبده بمنزلة
صدقة العبد على العبد وان اعطاه ما يعطيه اجرة على عمله احب
الى العبد من ان يعطيه فضلا منه بلا عمل ولم يجعلوا للاعمال تاثيرا
في الجزاء البتة والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم وهو ان
الاعمال اسباب موصلة الى الثواب والاعمال الصالحات من توفيق
الله وفضله وليست قدر الجزاء وثوابه بل غايتها اذا وقعت على
اكمل الوجوه ان تكون شكرا على احد الاجزاء القليلة من نعمه سبحانه
فلو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو
رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من اعمالهم وتامل قوله تعالى وتلك
الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون مع قوله صلى الله عليه وسلم
لن يدخل احد منكم الجنة بعمله تجد الاية تدل على ان الجنان بالاعمال
والحديث ينفي دخول الجنة بالاعمال ولا تنافي بينهما لان توارد
النفي والاثبات ليسا على محل واحد فالنفي بالثمنية واستحقاق
واستحقاق الجنة بمجرد الاعمال ردا على القدرية المجوسية التي زعمت
ان التفضل بالثواب ابتداء متضمن تكدير الباء المثبتة التي وردت
في القرآن هي بالسببية ردا على القدرية الجبرية الذين يقولون

لا ارتباط بين الاعمال وجزائها ولا هي اسباب لها وانما غايتها في
ان تكون امارة والسنة النبوية هي ان عموم مشية الله وقدرته لا تنافي
ربط الاسباب بالمسببات وارتباطها بها وكل طايفة من اهل الباطل
تركت نوعا من الحق فانها ارتكبت لاجله نوعا من الباطل بل
انواعا فهدى الله اهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه
الصنف الثالث الذين زعموا ان فائدة العبادة رياضة النفوس
واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها
من قوى النفس السبعية والبهيمية فلو عطلت العبادة لالتحقت
بنفوس السباع والبهايم فالعبادة تخرجها الى مشابهة العقول
فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها وهذا يقوله طايفتان
احدهما من يقرب الى الاسلام والشرايع من الفلاسفة القائلين
بقدم العالم وعدم الفاعل المختار والطائفة الثانية من تفلسف من
صوفية الاسلام ويقرب الى الفلاسفة فانهم يزعمون ان العبادات
رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوايد
ثم من هولاء من لا يوجب العبادة الا بهذا المعنى فاذا حصل لها
ذلك بقي متخيرا في حفظ اوراده والاشتغال بالوارد عنها ومنهم
من يوجب القيام بالاوراد وعدم الاخلال بها وهم صنفان ايضا
احدهما من يقول بوجوبها حفظا للقانون وضبطا للناموس
والاخرون يوجبونها حفظا للوارد وخوفا من تدرج النفس بمفارقتها
الى حالتها الاولى من البهيمية فهذه نهاية اقدامهم في حكمة
العبادة وما شرعت لاجله ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على
طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاثة او مجموعها
والصنف الرابع هم القائلون بالجمع بين الخلق والامر والقدر

والسب

١٥

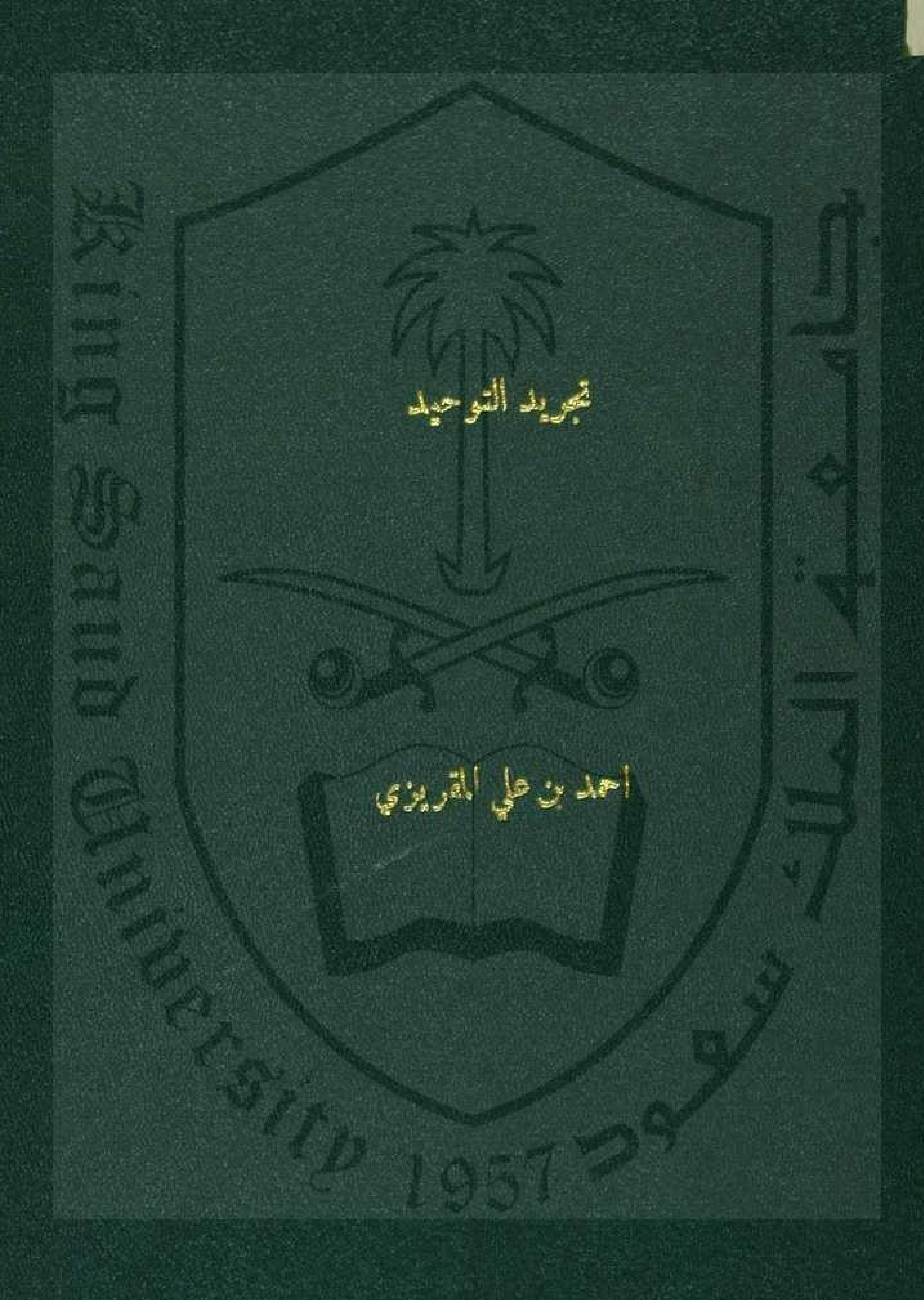
والسبب فعندهم ان سر العبادة وغايتها مبني على معرفة حقيقة
الالهية ومعنى كونه سبحانه الها وان العبادة موجب الالهية
واثرها ومقتضاها وارتباطها بها كارتباط متعلق الصفات
بالصفات وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة والاصوات
بالسمع والاحسان بالرحمة والعطا بالجود فعندهم من قام بمعرفتها
على النحو الذي فسرناها لغة وشرعا مصدرا وموردا استقام له
معرفة حكمة العبادات وغايتها وعلم انها هي الغاية التي خلقت لها
العباد ولها ارسلت الرسل وانزلت الكتب وخلقت الجنة والنار
وقد صرح سبحانه بذلك في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
فالعبادة هي التي ما وجدت الخلايق كلها الا لاجلها كما قال
تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي مهملا قال الشافعي
رحمه الله لا يومر ولا ينهى وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب على الامر
والنهي وهو طلب العبادة وارادتها وحقيقة العبادة امتثالهما
ولهذا قال تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا
ما خلقت هذا باطلا وقال تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وخلق الله السموات والارض بالحق
ولتجزى كل نفس بما كسبت فاخبر الله تعالى انه خلق السموات
والارض بالحق المتضمن امره ونهيه وثوابه وعقابه فاذا كانت
السموات والارض انما خلقت لهذا وهو غاية الخلق فكيف
يقال لا غاية له ولا حكمة مقصودة او ان ذلك لمجرد استيجار العمال
حتى لا يتكدر عليهم الثواب بالمنة او لمجرد استعداد النفوس
للمعارف العقلية وارتياضها لمخالفة العوايد واذا تامل اللبيب الفرق
بين هذه الاقوال وبين ما دل عليه صريح الوحي علم ان الله تعالى انما

خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد
لامره فاصل العبادة محبة الله بل افراده بالمحبة فلا يحب
معه سواه وانما نحب ما نحبه لاجله وفيه كما نحب انبياءه
ورسله وملائكته لان محبتهم من تمام محبته وليست كمحبة من اتخذ من
دونه اندادا يحبهم كحبه واذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته
وسرها فهي انما تتحقق باتباع امره واجتناب نهيه فعند اتباع
الامر والنهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة ولهذا جعل
سبحانه اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم علما عليها وشاهدا
لها كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
فجعل اتباع رسوله مشروطا بمحبتهم لله تعالى وشرطا لمحبة الله لهم
ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع فعلم انتفا المحبة عند
انتفا المتابعة للرسول ولا يكفي ذلك حتى يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما ومتى كان عنده شي احب اليه منهما فهو الاشراك
الذي لا يغفره قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد
في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين
وكل من قدم قول غير الله على قول الله او حكم به او حاكم اليه
فليس ممن احبه لكن قد يشتبه الامر على من يقدم قول احد او حكمه
او طاعته على قوله ظنا منه انه لا يامر ولا يحكم ولا يقول الا ما قاله
الرسول صلى الله عليه وسلم فيطيعه ويحاكم اليه ويتلقى اقواله كذلك لعله فيطيعه
فهذا معذور اذا لم يقدر على غير ذلك واما اذا قدر على الوصول
الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعرف ان غير من اتبعه اولى به

مطلقا

مطلقا او في بعض الامور لمسالة معينة ولم يلتفت الى قول الرسول
ولا الى من هو اولى به فهذا يخاف عليه وكلما يتعلل به من عدم العلم
او عدم الفهم او عدم اعطاء الة الفهم في الدين او الاحتجاج بالاشباه
والنظاير او بان ذلك المتقدم كان اعلم مني بمراده صلى الله
عليه وسلم فهي كلها تعللات لا تفيد هذا مع الاقرار بجواز الخطا
على غير المعصوم الا انه ينازع في هذه القاعدة فتسقط مكالمته وهذا
هو داخل تحت الوعيد فان استحل مع ذلك ثلب من خالفه وقرض عرضه
ودينه بلسانه او انتقل من هذا الى عقوبته او السعي في اذاه فهو
من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين واعلم ان للعبادة اربع
قواعد وهي التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه وقيام ذلك
بالقلب واللسان والجوارح فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الاربع
فاصحاب العبادة حقا هم اصحابها فقول العبد هو اعتقاد ما
اخبر الله تعالى عن نفسه واخبر رسوله صلعم عن ربه من اسمائه
وصفاته وافعاله وملائكته ولقائه وما اشبه ذلك وقول
اللسان الاخبار عنه بذلك والدعاء اليه والذب عنه وتبيين بطلان
البدع المخالفة له والقيام بذكره تعالى وتبليغ امره وعمل
القلب كالمحبة له والتوكل عليه والانابة والخوف والرجاء والاخلاص
والصبر على اوامره ونواهيه واقداره والرضا به وله وعنه
والموالاة فيه والمعاداة فيه والاخبات اليه والطمانينة
به ونحو ذلك من اعمال القلوب التي فرضها اكد من فرض اعمال
الجوارح واما اعمال الجوارح فكالصلاة والجهاد ونقل الاقدام
الى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز الى الخلق ونحو ذلك فقول
العبد في صلاته اياك نعبد التزام احكام هذه الاربعة

وازّار بهما وقوله واياك نستعين
طلب الاعانة عليهما والتوفيق لهما وقوله
اهدنا الصراط المستقيم متضمن للامرين
على التفصيل والتمام القيام بهما
وسلوك طريق السالكين
الى الله تعالى والله الموفق
بمنه وكرمه والحمد لله وحده
وصلى الله على من لا نبي بعده
وآله وصحبه ووارثيه
وحزبه تمت
هذه الرسالة على
يد الفقير الفاني
المرحوم المكي
جعفر ابن
بن سعد
البغدادي



تجريد التوحيد

احمد بن علي المقريزي

٢١٤

ت. م تجريد التوحيد المفيد، تأليف المقريزي، أحمد بن علي

– ٨٤٥هـ. كتبه محمد... جعفر بن مساعد البراوي في

القرن الثالث عشر الهجري تقديرا.

١٧ ق ٢٢ س ١٦x٢٢سم

٥٦٢ نسخة جيده، خطها نسخ معتاد

الاعلام ١ : ١٧٢، الازهرية ٢ : ١١٠

١– اصول الدين أ– المؤلف ب – الناسخ

جـ – تاريخ النسخ.

كتاب تجريد التوحيد
المفيد تأليف الشيخ الامام
الحبر المحدث تقي
الدين احمد بن علي
المقريزي
رحمه الله
تعالى
آمين
آ

نوبة الانتفاع به
للعبد الاحقر محمد بن
عبد الله بن حميد
الحنبلي المكي
كان الله له
١٢٩٥

مجموعة نمرة ٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي وكفى

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على نبينا
محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين
وبعد فهذا كتاب من الفوايد بديع
الفرايد ينتفع به من اراد الله والدار الاخرة سميته
تجريد التوحيد المفيد والله اسال العون على العمل به وتتمته
اعلم ان الله سبحانه هو رب كل شي ومالكه والهه
فالرب مصدر رب يرب ربا فهو رات فمعنى قوله تعالى
رب العالمين مراب العالمين فان الرب سبحانه وتعالى
هو الخالق الموجد لعباده القايم بتربيتهم واصلاحهم المتكفل
بصلاحهم من خلق ورزق وعافية واصلاح دين ودنيا
والالهية كون العباد تتخذونه سبحانه محبوبا مالوها وتفردونه
بالحب والخوف والرجا والاخبات والتوبة والنذر والطاعة
والطلب والتوكل ونحو هذه الاشيا فان التوحيد حقيقته
ان ترى الامور كلها من الله تعالى روية تقطع الالتفات عن
الاسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر الا منه تعالى
وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلق وترك لومهم والرضا
عن الله والتسليم لحكمه واذا عرفت ذلك فاعلم ان الربوبية
منه تعالى لعباده والتاله من عباده له سبحانه كما ان
الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل واعلم ان انفس
الاعمال واجلها قدرا توحيد الله تعالى غير ان التوحيد
له قشران الاول ان تقول بلسانك لا اله الا الله ويسمى

هذا

هذا القول توحيدا وهو مناقض التثليث الذي تعتقده النصارى
وهذا التوحيد يصدر ايضا من المنافق الذي يخالف سره
جهره والغش الثاني ان لا يكون في القلب مخالفة ولا انكار
لمفهوم هذا القول بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق
به وهذا هو توحيد عامة الناس ولباب التوحيد
ان يرى الامور كلها لله تعالى ثم يقطع الالتفات عن
الوسايط وان يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد
غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من
اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال تعالى افرايت
من اتخذ الهه هواه واذا تاملت عرفت ان عابد الصنم لم
يعبده انما عبد هواه وهو ميل نفسه الى دين ابائه
فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المالوفات احد المعاني
التي يعبر عنها بالهوى ويخرج عن هذا التوحيد السخط
على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله كيف
يسخط على غيره او ياتمل سواه وهذا التوحيد مقام الصديقين
ولا ريب ان توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل اقروا
بانه سبحانه وحده خالقهم وخالق السموات والارض
والقائم بمصالح العالم كله وانما انكروا توحيد الالهية
والمحبة كما قد حكى الله تعالى عنهم في قوله ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله
والذين امنوا اشد حبا لله فلما سووا غيره به في هذا
التوحيد كانوا مشركين كما قال الله تعالى الحمد لله
الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور

ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يسوون غيره به وقال الله
تعالى وهم بربهم يعدلون وقد علم الله سبحانه عباده كيفية
مباينة الشرك في توحيد الالهية وانه تعالى ان يتخذ
وليا وحكما وربا فقال تعالى قل اغير الله اتخذ وليا
وقال افغير الله ابتغي حكما وقال قل اغير الله ابغي ربا
فلا ولي ولا حكم ولا رب الا الله الذي من عدل به غيره فقد
اشرك في الوهيته ولو وحد ربوبيته فتوحيد الربوبية
هو الذي اجتمعت فيه الخلايق مومنها وكافرها
وتوحيد الالهية مفرق الطرق بين المومنين والمشركين
ولهذا كانت كلمة الاسلام لا اله الا الله فلو قال
لا رب الا الله لما اجزاه عند المحققين فتوحيد الالوهية هو
المطلوب من العباد ولهذا كان اصله الاله كما هو قول سيبويه
وهو الصحيح وهو قول جمهور اصحابه الا من شذ منهم وبهذا
الاعتبار الذي قررنا به الاله وانه المحبوب لاجتماع صفات
الكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معاني الاسما
الحسنى والصفات العليا وهو الذي ينكره المشركون ويحتج
الرب سبحانه عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد الوهيته
كما قال الله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
آلله خير اما يشركون امن خلق السموات والارض وانزل
لكم من السماء ماء فانبتنا به حدايق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها االه مع الله بل هم قوم يعدلون وكلما ذكر تعالى
من اياته جملة من الجمل قال عقبها االه مع الله فابان سبحانه
بذلك ان المشركين انما كانوا يتوقفون في اثبات توحيد
الالهية

الالهية لا الربوبية على ان منهم من اشرك في الربوبية كما ياتي بعد
ذلك ان شاء الله تعالى وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكري الالهية
باثباتهم الربوبية والملك هو الامر الناهي لا يخلق خلقا فيقتضي
ربوبيته ويتركهم سدى معطلين لا يومرون ولا ينهون ولا يثابون
ولا يعاقبون فان الملك هو الامر الناهي المعطي المانع الضار
النافع المثيب المعاقب ولذلك جاءت الاستعاذة في سورة الناس
وسورة الفلق بالاسماء الحسنى الثلاثة الرب والملك والاله
فانه لما قال اعوذ برب الناس كان فيه اثبات انه خالقهم
وفاطرهم فبقي ان يقال لما خلقهم هل كلفهم وامرهم ونهاهم قيل
نعم فجاء ملك الناس فاثبت الخلق والامر الا له الخلق والامر
فلما قيل ذلك قيل فاذا كان ربا موحدا وملكا مكلفا فهل
يحب ويرغب اليه ويكون التوجه اليه غاية الخلق والامر قيل
اله الناس اي مالوههم ومحبوبهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق
المكلف العابد الا له فجاءت الالهية خاتمة وغاية وما قبلها
كالتوطية لها وهاتان السورتان اعظم عوذة في القران
وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة الى ذلك وهو حين سحر
النبي صلى الله عليه وسلم وخيل له انه يفعل الشي وما فعله
واقام على ذلك اربعين يوما كما في الصحيح وكانت عقد السحر
احدى عشر عقدة فانزل الله المعوذتين احدى عشرة
اية ~~فانحلت بكل اية~~ فانحلت بكل اية عقدة وتعلقت الاستعاذة
في اوايل القران باسمه الاله الكامل ذي الاسما الحسنى
والصفات العليا المرغوب اليه في ان يعيذ عبده الذي يناجيه
بكلامه من الشيطان الحايل بينه وبين مناجات ربه

ثم انسحب التعلق باسم الاله في جميع المواطن الذي يقال فيها اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم لان اسم الله هو الغاية للاسماء
ولهذا كان ثم اسم بعده لا يتوقف الا به فتقول الله هو السلام
المؤمن المهيمن فالجلالة تعرف غيرها وغيرها لا يعرفها
والذين اشركوا به تعالى في الربوبية منهم من اثبت
معه خالقا اخر وان لم يقولوا انه مكافئ له وهم المشركون
ومن ضاهاهم من القدرية وربوبيته سبحانه للعالم الربوبية
الكاملة المطلقة الشاملة تبطل اقوالهم لانها تقتضي ربوبيته
لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والافعال وحقيقة
قول القدرية المجوسية انه تعالى ليس ربا لافعال الحيوان ولا
يتناولها ربوبيته اذ كيف يتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته
وخلقه وشرك الامم كله نوعان شرك في الالهية وشرك في
الربوبية فالشرك في الالهية والعبادة هو الغالب على اهل الاشراك
وهو شرك عباد الاصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد
المشايخ والصالحين الاحياء والاموات الذين قالوا انما نعبدهم
ليقربونا الى الله زلفى ويشفعوا لنا عنده وينالنا بسبب
قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة كما هو المعهود في
الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم اعوان الملك واقاربه
وخاصته والكتب الالهية كلها من اولها الى اخرها تبطل
هذا المذهب وترده وتقبح اهله وتنص على انهم اعداء الله تعالى
وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من اولهم الى
اخرهم وما اهلك الله تعالى من الامم الا بسبب هذا الشرك ومن
اجله واصله الشرك في محبة الله قال تعالى ومن الناس
من يتخذ

من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله فاخبر سبحانه انه من احب مع الله شيئا غيره
كما يحبه فقد اتخذه ندا من دونه وهذا على اصح القولين
في الاية انهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور
في قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون والمعنى على اصح
القولين انهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين
غيره في الحب والعبادة وكذلك قول المشركين في النار لاصنامهم
تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم
قطعا ان هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم
فانهم كانوا كما اخبر الله عنهم مقرين بان الله تعالى
وحده هو ربهم وخالقهم وان الارض ومن فيها لله وحده وانه
رب السموات السبع ورب العرش العظيم وانه سبحانه هو الذي
بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وانما كانت هذه
التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة والعبادة فمن احب
غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى
ويخافه ويرجوه فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله
فكيف بمن كان غير الله اثم عنده واحب اليه واخوف عنده
وهو في رضاته اشد سعيا منه في مرضات الله فاذا كان
المسوي بين الله وبين غيره في ذلك مشركا فما الظن بهذا فعياذا
بالله من ان ينسلخ القلب من التوحيد والاسلام كانسلاخ الحية
من قشرها وهو يظن انه مسلم موحد فهذا احد انواع الشرك والادلة
الدالة على انه تعالى يجب ان يكون وحده هو المالوه تبطل هذا
الشرك وتدحض حجج اهله وهو اكثر من ان يحيط بها الا الله

بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده وكذلك
كل ما امر به فخلقه وامره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم
من العقول شاهد بان الله الذي لا اله الا هو وان كل معبود
سواه باطل وانه هو الحق المبين تقدس وتعالى

فواعجبا كيف يعصى الاله ... ام كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة ... وتسكينة ابدا شاهد
وفي كل شيء له آية ... تدل على انه واحد

النوع الثاني من الشرك به تعالى في الربوبية كشرك من
جعل معه خالقا آخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بان
للعالم ربين احدهما خالق الخير والآخر خالق الشر وكالفلاسفة
ومن تبعهم الذين يقولون بانه لم يصدر عنه الا واحد بسيط وان
مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس وان مصدر هذا العالم
عن العقل الفعال فهو ربه كله ومدبره وهذا اشر من
عباد الاصنام والمجوس والنصارى وهو اخبث شرك في العالم اذ
يتضمن من التعطيل وجحد الالهية والربوبية واسناد الخلق الى
غيره سبحانه ما لم يتضمنه شرك امة من الامم وشرك القدرية
مختصر من هذا او باب يدخل منه اليه ولهذا شبههم الصحابة رضي
الله عنهم بالمجوس كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس رضي الله
عنهما وقد روى اهل السنن فيهم ذلك مرفوعا انهم مجوس هذه
الامة وكثيرا ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد احدهما عن
الآخر والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها
مصرحة بالرد على اهل هذا الاشراك كقوله تعالى اياك نعبد
فانه ينفي شرك المحبة والالهية وقوله واياك نستعين

القوى

[illegible]

فانه ينفي شرك الخلق والربوبية فتضمنت هذه الآية تجريد
التوحيد لرب العالمين في العبادة وانه لا يجوز اشراك غيره
معه لا في الافعال ولا في الالفاظ ولا في الارادات فالشرك به في
الافعال **كالسجود** لغيره سبحانه **والطواف** بغير بيته المحرم **وحلق الرأس**
عبودية وخضوعا لغيره **وتقبيل الاحجار** غير الحجر الاسود الذي
هو يمينه تعالى في الارض او تقبيل القبور واستلامها والسجود لها
وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من اتخذ قبور الانبياء والصالحين
مساجد يصلى فيها فكيف من اتخذ القبور اوثانا تعبد من
دون الله فهذا لم يعلم معنى قول الله تعالى اياك نعبد **وفي**
الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله اليهود والنصارى
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفيه عنه ايضا ان من شرار الناس
من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد
وفيه ايضا عنه صلى الله عليه وسلم ان من كان قبلكم كانوا يتخذون
القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك
وفي مسند الامام احمد وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه
وسلم لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج
وقال اشتد غضب الله على اقوام اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
وقال ان من كان قبلكم كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على
قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة اولئك شرار الخلق
عند الله **و**الناس في هذا الباب اعني زيارة القبور **ثلاثة**
اقسام قوم يزورون الموتى فيدعون لهم وهذه هي
الزيارة الشرعية وقوم يزورونهم يدعون بهم وهؤلاء هم
المشركون في الالوهية والمحبة وقوم يزورونهم فيدعونهم

تهوم

قوم

الصور

لعله حمى

انفسهم وهولاء المشركون في الربوبية وقد قال صلى الله عليه وسلم
جانب التوحيد اعظم حماية تحقيقا لقوله تعالى اياك نعبد حتى نهى
عن الصلاة في هذين الوقتين ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين
يسجدون لها في هاتين الحالتين وسد الذريعة بان منع من الصلاة
بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين الذين يسجد
المشركون فيهما للشمس واما السجود لغير الله فقد قال عليه
الصلوة والسلام لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد الا لله ولا ينبغي
في كلام الله ورسوله انما يستعمل للذي هو في غاية الامتناع كقوله
تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وقوله تعالى وما علمناه
الشعر وما ينبغي له وقوله تعالى وما تنزلت به الشياطين وما
ينبغي لهم وقوله تعالى ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من
دونك من اولياء ومن الشرك بالله تعالى المباين لقوله تعالى اياك نعبد
الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه الامام احمد وابو داود
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد اشرك صححه الحاكم
وابن حبان قال ابن حبان اخبرنا الحسن وسفيان ثنا عبد الله ابن
عمر الجعفي ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن الحسن بن عبد الله
النخعي عن سعد بن عبيدة قال كنت عند ابن عمر رضي الله عنهما
فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر ويحك لا تفعل فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من حلف بغير الله تعالى فقد اشرك ومن
الاشراك قول القائل لاحد من الناس ما شاء الله وشئت كما ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال
أجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده هذا مع ان الله قد اثبت
للعبد مشيئة كقوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم فكيف بمن يقول

انا

انا متوكل على الله وعليك وانا في حسب الله وحسبك ومالي الا الله
وانت وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك
والله لي في السماوات وانت لي في الارض ووازن بين هذه الالفاظ الصادرة
من غالب الناس اليوم وبين ما نهي عنه من ما شاء الله وشئت ثم
انظر ايها افحش يتبين لك ان قائلها اولى بالبعد من اياك نعبد وبالجواب
من النبي صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان
قد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ندا لله بهذا فقد جعل من لا يدانيه
لله ندا وبالجملة فالعبادة المذكورة في قوله اياك نعبد هي السجود
والتوكل والانابة والتقوى والخشية والتوبة والنذور والحلف
والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الراس
خضوعا وتعبدا والدعاء كل ذلك حق الله تعالى وفي مسند الامام
احمد ان رجلا اتي به النبي صلى الله عليه وسلم قد اذنب ذنبا فلما
وقف بين يديه قال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله
عليه وسلم عرف الحق لاهله وخرجه الحاكم من حديث الحسن عن
الاسود ابن سريع وقال حديث صحيح واما الشرك في الارادات والنيات
فذلك البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن نوى بعمله غير
وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة قوله اياك نعبد فان اياك نعبد هي
الحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام التي امر الله بها عباده كلهم
ولا يقبل من احد غيرها وهي حقيقة الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين واستمسك بهذا
الاصل ورد ما اخرجه المبتدعة والمشركون اليه تحقق معنى
الكلمة الالهية فان قيل المشرك انما قصد تعظيم جناب الله
تعالى وانه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه الا بالوسائط والشفعاء

كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية وانما
قصد تعظيمه وقال انما اعبد هذه الوسايط لتقربني اليه وتدخلني
عليه فهو الغاية وهذه وسايل فلم كان هذا القدر موجبا
لسخط الله تعالى وغضبه ومخلدا في النار وموجبا لسفك دما اصحابه
واستباحة حريمهم واموالهم وهل يجوز في العقل ان شرع الله
تعالى لعباده التقرب اليه بالشفعاء والوسايط فيكون تحريم
هذا انما استفيد بالشرع فقط ام ذلك قبيح في الشرع والعقل يمتنع
ان تاتي به شريعة من الشرايع وما السر في كونه لا يغفر من بين
ساير الذنوب كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا قلنا الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود واسمايه
وصفاته وافعاله وشرك في عبادته ومعاملته وان كان صاحبه
يعتقد انه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته واما الشرك الثاني
فهو الذي فرغنا من الكلام فيه واشرنا اليه الان وسنشبع الكلام
فيه ان شاء الله تعالى اما الشرك الاول فهو نوعان احدهما
شرك التعطيل وهو اقبح انواع الشرك كشرك فرعون في قوله وما
رب العالمين وقال لهامان ابن لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى
واني لاظنه من الكاذبين والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك
معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم اصل التعطيل بل قد
يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وصفاته ولكنه معطل حق التوحيد
واصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة
اقسام احدها تعطيل المصنوع عن صانعه الثاني تعطيل الصانع
عن كماله الثابت له الثالث تعطيل معاملته عما يجب على العبد
من حقيقة التوحيد ومن هذا الشرك اهل الوحدة ومنه
شرك

شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وابديته وان الحوادث باسرها
مستندة الى اسباب ووسايط اقتضت ايجادها يسمونها العقول
والنفوس ومنه شرك معطلة الاسما والصفات كالجهمية
والقرامطة وغلاة المعتزلة النوع الثاني شرك التمثيل وهو
شرك من جعل معه تعالى الها اخر كالنصارى في المسيح واليهود
في عزير والمجوس القايلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث
الشر الى الظلمة وشرك القدرية المجوسية مختصر منه وهولاء اكثر
مشركي العالم وهم طوايف جمة منهم من يعبد اجزاء سماوية
ومنهم من يعبد اجزاء ارضية ومن هولاء من يزعم ان معبوده اكبر
الالهية ومنهم من يزعم انه اله من جملة الالهة ومنهم
من يزعم انه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه اقبل عليه واعتنى
به ومنهم من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى الاعلى الفوقاني
والفوقاني يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه تلك الالهة الى
الله سبحانه فتارة تكثر الوسايط وتارة تقل فاذا عرفت
هذه الطوايف وعرفت اشتداد نكير الرسول صلى الله
عليه وسلم على من اشرك به تعالى في الافعال والاقوال والارادات
كما تقدم ذكره انفتح لك باب الجواب عن السوال فنقول اعلم
ان حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق
اما الخالق فان المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصايص الالهية
وهي التفرد بملك الضر والنفع والعطا والمنع فمن علق ذلك بمخلوق
فقد شبهه بالخالق تعالى وسوى بين التراب ورب الارباب
فاي فجور وذنب اعظم من هذا واعلم ان من خصايص الالهية
الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من

الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة له وحده عقلاً وشرعاً وفطرة
فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن لا شبيه له ولشدة قبحه
وتضمنه غاية الظلم اخبر من كتب على نفسه الرحمة انه لا يغفره ابداً
ومن خصائص الالهية العبودية التي لا تقوم الا على
ساقي الحب والذل فمن اعطاهما لغيره فقد شبهه بالله سبحانه وتعالى
في خالص حقه وقبح هذا مستقر في العقول والفطر لكن لما غيرت الشياطين
فطر اكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وامرتهم ان يشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا كما روى ذلك عن الله اعرف الخلق به وبخلقه
عموا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً ومن خصائص الالهية السجود
فمن سجد لغيره فقد شبهه به ومنها التوكل على غيره فقد شبهه
به ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به ومنها الحلف باسمه
فمن حلف لغيره فقد شبهه به ومنها الذبح لغيره فمن ذبح لغيره فقد
شبهه به ومنها حلق الراس الى غير ذلك هذا من جانب التشبيه واما
من جانب التشبه فمن تعاظم وتكبر ودعى الناس الى اطرائه
ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وهو
حقيق بان يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذر تحت اقدام
خلقه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز
وجل العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما
عذبته واذا كان المصور الذي يصنع الصور بيده من اشد
الناس عذابا يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة فما الظن
بالمتشبه بالله في الربوبية والالهية كما قال صلى الله عليه وسلم
اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون يقال لهم احيوا ما خلقتم
وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل ومن

فمن توكل م



٧

اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فنبه بالذرة
والشعيرة على ما هو اعظم منها وكذلك من تشبه به تعالى في الاسم
الذي لا ينبغي الا له كملك الملوك وحاكم الحكام وقاضي القضاة ونحوه
وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
اخنع الاسماء عند الله رجل تسمى بشاهنشاه ملك الملوك
لا ملك الا الله وفي لفظ اغيظ رجل عند الله رجل تسمى بملك الاملاك
وبالجملة فالتشبه والتشبيه هو حقيقة الشرك ولذلك كان من ظن
انه اذا تقرب الى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير اليه تعالى فانه
فانه يخطي لكونه شبهه به واخذ ما لا ينبغي ان يكون الا له فالشرك
معه سبحانه حقه فهذا اقبح عقلا وشرعا ولذا لم يشرع ولم
يغفر فاعله واعلم ان الذي ظن ان الرب سبحانه لا يسمع له او لا
يجيب له الا بواسطة تطلعه على ذلك او سأل ذلك منه فقد ظن بالله
ظن السوء فانه ان ظن انه لا يعلم او لا يسمع الا باعلام غيره له
واسماعه ذلك نفى لعلم الله وسمعه وكمال ادراكه وكفى بذلك
ذنبا وان ظن انه يسمع ويرى ولكن يحتاج الى من يلينه ويعطفه عليهم
فقد اساء الظن بافضال ربه وبره واحسانه وسعة جوده وبالجملة
فاعظم الذنوب عند الله تعالى اساءة الظن به ولهذا يتوعدهم في
كتابه على اساءة الظن به اعظم وعيد كما قال تعالى
الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم
ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وقال تعالى عن خليله ابراهيم
عليه السلام ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب
العالمين اي فما ظنكم ان يجازيكم اذا عبدتم معه غيره وظننتم انه
يحتاج الى الاطلاع على ضرورات عباده لمن يكون بابا للحوائج

اليه ونحو ذلك وهذا بخلاف الملوك فانهم يحتاجون الى الوسائط
ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن ادراك حوائج
المضطرين فاما من لا يشغله سمع عن سمع وسبقت رحمته غضبه وكتب
على نفسه الرحمة فاتخاذ الوسائط عنده من اتخذ واسطة بينه وبين
الله تعالى فقد ظن به اقبح الظن ومستحيل ان يشرعه لعباده بل
ذلك ممتنع في العقول والفطر واعلم ان الخضوع والتاله الذي
يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه كما قررناه لاسيما اذا كان
المجعول له ذلك عبد الملك العظيم الرحيم القريب المجيب ومملوكا له
كما قال ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما
رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي اذا كان احدكم
يانف ان يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف تجعلون لي من عبيدي
شركاء فيما انا منفرد به وهو الالهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح
لسواي فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي
وبالجملة فما قدر الله حق قدره من عبد معه من ظن انه يوصل
اليه قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من
دون الله لن يخلقوا ذبابا الاية الى ان قال ما قدروا الله حق قدره
ان الله لقوي عزيز وقال ما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه
وتعالى عما يشركون فما قدر القوي العزيز حق قدره من اشرك
معه الضعيف الذليل واعلم انك اذا تاملت جميع طوائف الضلال
والبدع وجدت اصل ضلالهم راجعا الى شيئين احدهما ظنهم بالله ظن
السوء والثاني انهم لم يقدروا الرب حق قدره فلم يقدره حق قدره
من ظن انه لم يرسل رسولا ولا انزل كتابا بل ترك الخلق

سدى

سدى وخلقهم عبثا ولا قدره حق قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها
بافعال عباده من طاعاتهم ومعاصيهم واخرجها عن خلقه وقدرته
ولا قدروا الله حق قدره اضداد هؤلاء الذين قالوا انه
يعاقب عبده على ما لم يفعله بل يعاقبه على فعله هو سبحانه
واذا استحال في العقول ان يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه
عليه فكيف يصدر هذا من اعدل العادلين وقول هؤلاء شر
من اشباه المجوس القدرية الاذلين ولا قدره حق قدره من نفى
رحمته ومحبته ورضاه وغضبه وحكمته مطلقا وحقيقة فعله
ولم يجعل له فعلا اختياريا بل افعاله مفعولات منفصلة عنه ولا قدره
حق قدره من جعل له صاحبة وولدا او جعله يحل في مخلوقاته او
جعله عين هذا الوجود ولا قدره حق قدره ~~حق قدره~~ من قال انه
رفع اعداء رسوله واهل بيته وجعل فيهم الملك ووضع اولياء رسوله
واهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح في الرب تعالى الله عن قول الرافضة
وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول رب العالمين
انه ارسل ملكا ظالما فادعى النبوة وكذب على الله ومكث زمانا طويلا
يقول امرني بكذا ونهاني عن كذا ويستبيح دماء انبياء الله وانبيا
واحبابه والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الادلة والمعجزات
على صدقه ويقبل بقلوب الخلق واجسادهم اليه ويقيم دولته
على الظهور والزيادة ويذل اعداءه اكثر من ثمانمائة عام
فوازن بين قول هؤلاء وقول اخوانهم من الرافضة تجد القولين
سواء ولا قدره حق قدره من زعم انه لا يحيي الموتى ولا يبعث من
في القبور ليبين لعباده الذي كانوا فيه يختلفون وليعلم الذين
كفروا انهم كانوا كاذبين وبالجملة فهذا باب واسع والمقصود ان

كل من عبد مع الله غيره فانما عبد شيطانا قال تعالى الم اعهد
اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان فما عبد احد احدا من
بني ادم كائنا ما كان الا وقعت عبادته للشيطان فيتمتع
العابد في تعظيمه لرواشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضى
الشيطان ولهذا قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن
قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم وقال اولياؤهم من
الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت
لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك فهذه
اشارة لطيفة الى السر الذي لاجله كان الشرك اكبر الكبائر
عند الله وانه لا يغفر بغير التوبة منه وانه موجب للخلود في
العذاب العظيم وانه ليس تحريمه وقبحه لمجرد النهي عنه فقط بل يستحيل
على الله سبحانه وتعالى ان يشرع لعباده الها غيره كما
يستحيل عليه ما يناقض اوصاف كماله ونعوت جلاله واعلم
ان الناس في عبادة الله تعالى والاستعانة به على اربعة اقسام
اجلها وافضلها اهل العبادة والاستعانة بالله عليها فعبادة
الله غاية مرادهم وطلبهم منه ان يعينهم عليها ويوفقهم للقيام
بها نهاية مقصودهم ولهذا كان افضل ما يسال الرب
تعالى الاعانة على مرضاته وهو الذي علم النبي صلى الله عليه
وسلم لمعاذ بن جبل تعالى يا معاذ والله اني احبك فلا
تدع ان تقول في دبر كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك فانفع الدعاء طلب العون على مرضاته
تعالى و يقابلهم القسم الثاني المعرضون عن عبادته والاستعانة
به فلا عبادة لهم ولا استعانة بل ان ساله تعالى احدهم واستعان

به فعلى حظوظه وشهواته والله سبحانه يساله من في
السموات والارض ويساله اولياؤه واعداؤه فيمد هؤلاء وهؤلاء
وابغض خلقه اليه ابليس ومع هذا اجاب سؤاله وقضى حاجته
ومتعه بها ولكن لما لم تكن عونا على مرضاته كانت زيادة في
شقوته وبعده وهكذا كل من ساله تعالى واستعان به
على ما لم يكن عونا له على طاعته كان سؤاله مبعدا عن الله فليتدبر
العاقل هذا وليعلم ان اجابة الله لسؤال بعض السائلين ليس
لكرامته عليه بل قد يساله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلا
كه ويكون منعه منها حماية له وصيانة والمعصوم من عصمه الله
والانسان على نفسه بصيرة وعلامة هذا انك ترى من صانه الله
من ذلك وهو يجهل حقيقة الامر اذا راه سبحانه يقضي حوائج غيره
سيئ ظنه به تعالى وقلبه محشو بذلك وهو لا يشعر وامارة ذلك
حمله على الاقدار وعتابه في الباطن لها ولقد كشف الله تعالى هذا
المعنى غاية الكشف في قوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه
فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه
رزقه فيقول ربي اهانن كلا اي ليس كل من اعطيته ونعمته
وخولته فقد اكرمته وما ذاك لكرامته علي ولكنه ابتلاء مني وامتحان
له ايشكر فاعطيه فوق ذلك ام يكفر فاسلبه واحوله عنه
لغيره وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر
لا يفضل عنه فذلك من هوانه علي ولكنه ابتلاء وامتحان مني ايصبر
فاعطيه اضعاف ما فاته ام يسخط فيكون حظه السخط بالجملة
فاخبر تعالى ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة
الرزق وتقديره فانه سبحانه يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر

على المؤمن لا لهوانه عليه وانما يكرم سبحانه من يكرم من
عباده بان يوفقه لمعرفته ومحبته وعبادته واستعانته
فعبادته سعادة الابد في عبادة الله والاستعانة بها عليه

القسم الثالث من له نوع عبادة بلا استعانة وهولاء نوعان احدهما
اهل القدر القايلون بانه سبحانه قد فعل بالعبد جميع مقدوره
من الالطاف وانه لم يبق في مقدوره اعانة له على الفعل فانه
قد اعانه بخلق الالات وسلامتها وتعريف الطريق وارسال الرسول
وتمكينه من الفعل فلم يبق بعدها اعانة مقدوره يساله اياها
وهولاء مخذولون موكلون الى انفسهم مسدود عليهم طريق
الاستعانة والتوحيد قال ابن عباس رضي الله عنهما الايمان
بالقدر نظام التوحيد فمن امن بالله وكذب بقدره نقض توحيده

النوع الثاني من لهم عبادة واوراد ولكن حظهم ناقص من
التوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الاسباب بالقدر وانها
بدون المقدور كالموات الذي لا تاثير له كالعدم الذي لا وجود له
وان القدر كالروح المحرك لها والمعول على المحرك الاول فلم تنفذ
بصايرهم من السبب الى المسبب ومن الالة الى الفاعل فقل نصيبهم من
الاستعانة وهولاء لهم نصيب من التصرف بحسب استعانتهم وتوكلهم
ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم ولو
توكل العبد على الله حق توكله في ازالة جبل عن مكانه لازاله

فان قيل ما حقيقة الاستعانة عملا قلنا هي التي تعبر عنها بالتوكل وهي
حال للقلب تنشا عن معرفة الله وتفرده بالخلق والامر والتدبير
والضر والنفع وانه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن فيوجب اعتمادا
عليه وتفويضا اليه وثقة به فيصير نسبة العبد اليه تعالى نسبة الطفل

الى الله

الى ابويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته فلو دهمه ما عسى ان يدهمه
من الافات لا يلتجي الى غيرهما فان كان العبد مع هذا الاعتماد
من اهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه
اي كافيه

القسم الرابع من له استعانة بلا عبادة وتلك حال من
شهد تفرد الله بالضر والنفع ولم يدر ما يحبه ويرضاه فتوكل
عليه في حظوظه فاسعفه بها وهذا لا عاقبة له سوى كانت
اموالا او رياسات او جاها عند الخلق او نحو ذلك فذلك حظه
من دنياه واخرته

واعلم ان العبد لا يكون متحققا بعبادة
الله تعالى الا باصلين احدهما متابعة الرسول صلى الله عليه
وسلم والثاني اخلاص العبودية وتردد الناس في هذين الاصلين
اربعة اقسام اهل الاخلاص والمتابعة فاعمالهم كلها لله
واقوالهم ومنعهم وعطاهم وحبهم وبغضهم كل ذلك لله تعالى
لا يريدون من العباد جزاء ولا شكورا اعدوا الناس كاصحاب القبور
لا يملكون ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا والاخلاص
هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عملا سواه ابا عارا منه وهو
الذي الزم عباده به الى الموت قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
وقال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
واحسن العمل اخلصه واصوبه فالخالص ان يكون لله والصواب
ان يكون على وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو
العمل الصالح المذكور في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا وهو العمل الحسن في قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله
وهو محسن وهو الذي امر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كل عمل

كانما عامل احدا من الخلق الا لجهله بالله وجهله بالخلق

ليس عليه امرنا فهو رد وكل عمل بلا متابعة فانه لا يزيد
عامله الا بعدا من الله فان الله تعالى انما يعبد بامره لا بالآ
والآراء الضرب الثاني من لا اخلاص له ولا متابعة وهو
لاستوار الخلق وهم المتزينون باعمال الخير يراءون بها
الناس وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من
المنتسبين الى الفقه والعلم والفقر والعبادة فانهم يرتكبون البدع
والضلال والرياء والسمعة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وفي
اضراب هولاء نزل قوله تعالى لا يحسبن الذين يفرحون بما
اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب ولهم عذاب اليم الضرب الثالث من هو مخلص في
اعماله لكنها على غير متابعة الامر كجهال العباد المنتسبين الى الزهد
والفقر وكل من عبد الله على غير مراده والمغالين لبس
في عبادة الله كما اراد الله ومنهم من يمكث في خلوته
تاركا للجمعة ويرى ذلك قربة ويرى مواصلة صوم
النهار بالليل قربة وان صيام يوم الفطر قربة وامثال ذلك
الضرب الرابع من اعماله على متابعة الامر لكنها لغير الله
تعالى كطاعات المرائين وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية
وشجاعة وللمغنم والحج ليقال ويقرا ليقال ويعلم ويولف ليقال
فهذه اعمال صالحة لكنها غير مقبولة قال تعالى وما
امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فلم يومر
الناس الا بالعبادة على المتابعة والاخلاص فيها والقائم
بهما اهل اياك نعبد واياك نستعين ثم اهل مقام اياك نعبد
لهم في افضل العبادة وانفعها واحقها بالايثار والتخصيص

اربعة

اربعة طرق وهم في ذلك اربعة اصناف الصنف الاول عندهم
انفع العبادات وافضلها اشقها على النفوس واصعبها قالوا لانه
ابعد الاشياء من هواها وهو حقيقة التعبد والاجر على قدر
المشقة ورووا حديثا ليس له اصل افضل الاعمال احمزها اي
اصعبها واشقها وهولاء هم ارباب المجاهدات والجور على
النفوس قالوا وانما تستقيم النفوس بذلك اذ طبعها الكسل والمهانة
والاخلاد الى الراحة فلا تستقيم الا بركوب الاهوال وتحمل المشا
الصنف الثاني قالوا افضل العبادات وانفعها التجرد والزهد
في الدنيا والتقلل منها غاية الامكان واطراح الاهتمام بها
وعدم الاكتراث لما هو منها ثم هولاء قسمان فعوامهم ظنوا
ان هذا غاية فشمروا اليه وعملوا عليه وقالوا هو افضل من
درجة العلم والعبادة وراوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة
وراسها وخواصهم راوا هذا مقصودا لغيره وان المقصود
به عكوف القلب على الله تعالى والاستغراق في محبته والانابة
اليه والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته فراوا افضل العبادات
دوام ذكره بالقلب واللسان ثم هولاء قسمان فالعارفون اذا جاء
الامر والنهي بادروا اليه ولو فرقهم واذهب جمعيتهم والمنحرفون
منهم يقولون المقصود من القلب جمعيته فاذا جاء ما يفرقه عن
الله لم يلتفت اليه ويقولون يطالب بالاوراد من كان غافلا
فكيف بقلب كل اوقاته ورد ثم هولاء ايضا قسمان منهم من يترك
الواجبات والفرائض لجمعيته ومنهم من يقوم بها ويترك السنن
والنوافل وتعلم العلم النافع لجمعيته والحق ان الجمعية حظ القلب
واجابة داعي الله حق الرب فمن اثر حق نفسه على حق ربه

فليس من شيء الصنف الثالث راوا ان افضل العبادات ما كان فيه نفع
متعد فراوه افضل من النفع القاصر فراوا خدمة الفقرا والاشتغال
بمصالح الناس وقضا حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع
افضل لقوله صلى الله عليه وسلم الخلق عيال الله واحبهم الى الله انفعهم
لعياله قالوا وعمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفاع متعد
الى الغير فاين احدهما من الاخر ولهذا كان فضل العالم على
العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقد قال صلى الله
عليه وسلم لعلي لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم
وقال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه
من غير ان ينقص من اجورهم شيا وقال ان الله وملايكته يصلون
على معلمي الخير وقال ان العالم يستغفر له من في السموات ومن
في الارض حتى الحيتان في البحر والنملة في جحرها قالوا وصاحب العبادة
اذا مات انقطع عمله وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي
نسب فيه والانبيا عليهم السلام انما بعثوا بالاحسان الى الخلق
وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع
ولهذا انكر النبي صلى الله عليه وسلم على اولئك النفر
الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس وراى
هولاء ان التفرغ لنفع الخلق افضل من الجمعية على الله بدون ذلك
قالوا ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الامور الفاضلة الصنف
الرابع قالوا افضل العبادة العمل على مرضات الرب سبحانه واشتغال
كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته فافضل العبادات
في وقت الجهاد الجهاد وان ال الى ترك الاوراد من صلاة
الليل وصيام النهار بل من ترك اتمام صلاة الفرض كما في حالة

الامن

الامن والافضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به
والافضل في اوقات السحر الاشتغال بالصلاة والقران والذكر
والدعا والافضل في وقت الاذان ترك ما هو فيه من الاوراد
والاشتغال باجابة المؤذن والافضل في اوقات الصلوات
الخمس الجد والاجتهاد في ايقاعها على اكمل الوجوه والمبادرة اليها
في اول الوقت والخروج الى المسجد وان بعد والافضل
في اوقات ضرورة المحتاج المبادرة الى مساعدته بالجاه والمال
والبدن والافضل في السفر مساعدة المحتاج واعانة
الرفقة وايثار ذلك على الاوراد والخلوة والافضل في وقت
قراة القران جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على
تنفيذ اوامره اعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان
على ذلك والافضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع
والدعا والذكر والافضل في ايام عشر ذي الحجة الاكثار من
التعبد لا سيما التكبير والتهليل والتحميد وهو افضل من الجهاد غير
المتعين والافضل في العشر الاواخر من رمضان لزوم المساجد
والخلوة فيها مع الاعتكاف والاعراض عن مخالطة الناس
والاشتغال بهم حتى انه افضل من الاقبال على تعليمهم العلم واقرائهم
القران عند كثير من العلماء والافضل في وقت مرض اخيك المسلم
عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك
وجمعيتك والافضل في وقت نزول النوازل واذاء الناس
لك اداء واجب الصبر مع خلطتك لهم والمومن الذي يخالط
الناس ويصبر على اذاهم افضل من المومن الذي لا يخالط الناس
ولا يصبر على اذاهم وخلطتهم في الخير افضل من عزلتهم فيه

وعزلتهم في الشر افضل من خلطتهم فيه فإن علم انه اذا خالطهم
اذاه وقلله فخلطتهم خير من اعتزالهم وهولا هم اهل التعبد
المطلق والاصناف التي قبلهم اهل التعبد المقيد فمتى خرج
احدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى
نفسه كانه قد نقص وترك عن عبادته فهو يعبد الله
على وجه واحد وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد
بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع رضات الله تعالى
ان رايت العلما رايته معهم وكذلك في الذاكرين والمتصدقين
وارباب الجمعية وعكوف القلب على الله فهذا هو العبد الجامع
السائر الى الله في كل طريق والوافد عليه مع كل فريق وتستحضر
هنا حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقول النبي صلى الله
عليه وسلم بحضوره هل منكم احد اطعم اليوم مسكينا قال ابو بكر انا
قال هل منكم احد اصبح اليوم صايما قال ابو بكر انا قال هل
منكم احد عاد اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال هل منكم احد
تبع اليوم جنازة قال ابو بكر انا الحديث هذا الحديث روي
من طريق عبد الغني بن ابي عقيل حدثنا نعيم بن سالم عن
انس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في جماعة من اصحابه فقال من صام اليوم قال ابو بكر انا
قال من عاد اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال من شهد اليوم
جنازة قال ابو بكر انا قال وجبت لك يعني
الجنة ونعيم بن سالم وان تكلم فيه لكن تابعه سلم بن وردان
وله اصل صحيح من حديث مالك عن محمد بن شهاب عن حميد بن عبد
الرحمن بن عوف عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قال من انفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة
يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة نودي من باب
الصلاة ومن كان من اهل الجهاد نودي من باب الجهاد ومن
كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل
الصيام دعي من باب الريان فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
ما على من يدعى من هذه الابواب من ضرورة فهل يدعى احد
من هذه الابواب كلها قال نعم وارجو ان تكون منهم هكذا
رواه عن مالك موصولا مسندا يحيى بن يحيى ومعن بن عيسى
وعبد الله ابن المبارك ورواه يحيى بن بكير وعبد الله بن يوسف
عن مالك عن ابن شهاب عن حميد مرسلا وليس هو عند القعنبي لا
مرسلا ولا مسندا ومعنى قوله من انفق زوجين يعني شيئين من نوع
واحد نحو درهمين او دينارين او فرسين او قميصين وكذلك من
صلى ركعتين او مشى في سبيل الله تعالى خطوتين او صام يومين
ونحو ذلك وانما اراد والله اعلم اقل التكرار واقل وجوه
المداومة على العمل من اعمال البر لان الاثنين اقل الجمع فهذا
كالغيث اين وقع صحب الله بلا خلق وصحب الخلق بلا نفس اذا كان
مع الله عزل الخلايق من البين وتخلى عنهم واذا كان
مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها فما اغربه بين
الناس وما اشد وحشته منهم وما اعظم انسه بالله وفرحه
بها وطمانينته وسكونه اليه واعلم ان للناس في منفعة العباد
وحكمتها ومقصودها طرايق وهم في ذلك اربعة اصناف الصنف
الاول نفاة الحكم والتعليل الذين يردون الامر الى نفس
المشيئة وصرف الارادة فهولاء عندهم القيام بها ليس

لعله يريدون

لمجرد الامر من غير ان تكون سببا للسعادة في معاش ولا معاد ولا
سببا للنجاة وانما القيام بها لمجرد الامر ومحض المشيئة كما قالوا
في الخلق لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به ولا لحكمة تعود
اليه منه وليس في المخلوقات اسباب تكون مقتضيات لاسبابها
وليس في النار سبب للاحراق ولا في الماء قوة الاغراق ولا التبريد
وهكذا الامر عندهم سوا لا فرق بين المخلوق والامر لا فرق
في نفس الامر بين المامور والمحظور ولكن المشيئة اقتضت امره بهذا
ونهيه عن هذا من غير ان يقوم بالمامور صفة تقتضي حسنه ولا
بالمنهي عنه صفة تقتضي قبحه ولهذا الاصل لوازم وفروع كثيرة وهولاء
غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذتها ولا يتنعمون بها ولهذا
يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والاخلاص
ونحو ذلك تكاليف اي كلفوا بها ولو سمى مدعي محبة ملك من
الملوك او غيره ما يامره به تكليفا لم يعد محبا له واول من صدرت
عنه هذه المقالة الجعد بن درهم الصنف الثاني القدرية النفاة
الذين يثبتون نوعا من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع
اليه بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته فعندهم ان العبادات
شرعت اثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم وانها بمنزلة
استيفاء الاجير اجره قالوا ولهذا يجعلها سبحانه عوضا كقوله
ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي الصحيح انما هي اعمالكم
احصيها عليكم ثم اوفيكم اياها قالوا وقد سماها جزاء واجرا
وثوابا لانه شيء يثوب الى العامل من عمله اي يرجع اليه
قالوا ويدل عليه الموازنة فلولا تعلق الثواب بالاعمال
عوضا

عوضا عليها لم يكن للموازنة ~~فلولا تعلق الثواب بالاعمال عوضا عليها~~
~~لم يكن للموازنة~~ معنى وهاتان الطائفتان متقابلتان فالجبرية
لم تجعل للاعمال ارتباطا بالجزاء البتة وجوزت ان يعذب الله من
افنى عمره في الطاعة وينعم من افنى عمره في مخالفته وكلاهما سوا
بالنسبة اليه والكل راجع الى محض المشيئة والقدرية اوجبت
عليه سبحانه رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الاعمال
وان وصول الثواب الى العبد بدون عمله فيه تنغيص باحتمال
منة الصدقة عليه بلا ثمن فجعلوا تفضله سبحانه على عبده بمنزلة
صدقة العبد على العبد وان اعطاه ما يعطيه اجرة على عمله احب
الى العبد من ان يعطيه فضلا منه بلا عمل ولم يجعلوا للاعمال تاثيرا
في الجزاء البتة والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم وهو ان
الاعمال اسباب موصلة الى الثواب والاعمال الصالحات من توفيق
الله وفضله وليست قدر الجزاء وثوابه بل غايتها اذا وقعت على
اكمل الوجوه ان تكون شكرا على احد الاجزاء القليلة من نعمه سبحانه
فلو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو
رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من اعمالهم وتامل قوله تعالى وتلك
الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون مع قوله صلى الله عليه وسلم
لن يدخل احد منكم الجنة بعمله تجد الاية تدل على ان الجنان بالاعمال
والحديث ينفي دخول الجنة بالاعمال ولا تنافي بينهما لان توارد
النفي والاثبات ليسا على محل واحد فالنفي بالثمنية واستحقاق
واستحقا الجنة بمجرد الاعمال ردا على القدرية المجوسية التي زعمت
ان التفضل بالثواب ابتدا متضمن تكدير المنة والباء المثبتة التي وردت
في القران هي باء السببية ردا على القدرية الجبرية الذين يقولون

لا ارتباط بين الاعمال وجزائها ولا هي اسباب لها وانما غاياتها في
ان تكون امارة والسنة النبوية هي ان عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي
ربط الاسباب بالمسببات وارتباطها بها وكل طايفة من اهل الباطل
تركت نوعا من الحق فانها ارتكبت لاجله نوعا من الباطل بل
انواعا فهدى الله اهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه
الصنف الثالث الذين زعموا ان فائدة العبادة رياضة النفوس
واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها
من قوى النفس السبعية والبهيمية فلو عطلت العبادة لالتحقت
بنفوس السباع والبهايم فالعبادة تخرجها الى مشابهة العقول
فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها وهذا يقول له طايفتان
احدهما من يقرب الى الاسلام والشرايع من الفلاسفة القائلين
بقدم العالم وعدم الفاعل المختار والطايفة الثانية من تفلسف من
صوفية الاسلام ويقرب الى الفلاسفة فانهم يزعمون ان العبادات
رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوايد
ثم من هولاء من لا يوجب العبادة الا بهذا المعنى فاذا حصل لها
ذلك بقي متخيرا في حفظ اوراده والاشتغال بالوارد عنها ومنهم
من يوجب القيام بالاوراد وعدم الاخلال بها وهم صنفان ايضا
احدهما من يقول بوجوبها حفظا للقانون وضبطا للناموس
والاخرون يوجبونها حفظا للوارد وخوفا من تدرج النفس بمفارقتها
الى حالتها الاولى من البهيمية فهذه نهاية اقدامهم في حكمة
العبادة وما شرعت لاجله ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على
طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاثة او مجموعها
والصنف الرابع هم القايلون بالجمع بين الخلق والامر والقدر

والسب

والسبب فعندهم ان سر العبادة وغايتها مبني على معرفة حقيقة
الالهية ومعنى كونه سبحانه الها وان العبادة موجب الالهية
واثرها ومقتضاها وارتباطها بها كارتباط متعلق الصفات
بالصفات وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة والاصوات
بالسمع والاحسان بالرحمة والعطا بالجود فعندهم من قام بمعرفتها
على النحو الذي فسرناها لغة وشرعا مصدرا وموردا استقام له
معرفة حكمة العبادات وغاياتها وعلم انها هي الغاية التي خلقت لها
العباد ولها ارسلت الرسل وانزلت الكتب وخلقت الجنة والنار
وقد صرح سبحانه بذلك في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
فالعبادة هي التي ما وجدت الخلايق كلها الا لاجلها كما قال
تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي مهملا قال الشافعي
رحمه الله لا يومر ولا ينهى وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب على الامر
والنهي وهو طلب العبادة وارادتها وحقيقة العبادة امتثالهما
ولهذا قال تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا
ما خلقت هذا باطلا وقال تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وخلق الله السموات والارض بالحق
ولتجزى كل نفس بما كسبت فاخبر الله تعالى انه خلق السموات
والارض بالحق المتضمن امره ونهيه وثوابه وعقابه فاذا كانت
السموات والارض انما خلقت لهذا وهو غاية الخلق فكيف
يقال لا غاية له ولا حكمة مقصودة او ان ذلك لمجرد استيجار العمال
حتى لا يتكدر عليهم الثواب بالمنة او لمجرد استعداد النفوس
للمعارف العقلية وارتياضها بمخالفة العوايد واذا تامل اللبيب الفرق
بين هذه الاقوال وبين ما دل عليه صريح الوحي علم ان الله تعالى انما

خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد
لامره فاصل العبادة محبة الله بل افراده بالمحبة فلا يحب
معه سواه وانما تحب ما تحبه لاجله وفيه كما يحب انبياءه
ورسله وملائكته لان محبتهم من تمام محبته وليست كمحبة من اتخذ من
دونه انداداً يحبهم كحبه واذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته
وسرها فهي انما تتحقق باتباع امره واجتناب نهيه فعند اتباع
الامر والنهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة ولهذا جعل
سبحانه اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم علماً عليها وشاهداً
لها كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله تعالى وشرطاً لمحبة الله لهم
ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع فعلم انتفا المحبة عند
انتفا المتابعة للرسول ولا يكفي ذلك حتى يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما ومتى كان عنده شي احب اليه منهما فهو الاشراك
الذي لا يغفره قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد
في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين
وكل من قدم قول غير الله على قول الله او حكم به او حاكم اليه
فليس ممن احبه لكن قد يشتبه الامر على من يقدم قول احد او حكمه
او طاعته على قوله ظناً منه انه لا يامر ولا يحكم ولا يقول الا ما قاله
الرسول صلى الله عليه وسلم فيعطيه ويحاكم اليه ويتلقى اقواله كذلك
فهذا معذور اذا لم يقدر على غير ذلك واما اذا قدر على الوصول
الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعرف ان غير من اتبعه اولى به

لعله فيطيعه

مطلقا

مطلقا او في بعض الامور لمسالة معينة ولم يلتفت الى قول الرسول
ولا الى من هو اولى به فهذا يخاف عليه وكلما يتعلل به من عدم العلم
او عدم الفهم او عدم اعطاء الة الفهم في الدين او الاحتجاج بالاشباه
والنظاير او بان ذلك المتقدم كان اعلم مني بمراده صلى الله
عليه وسلم فهي كلها تعللات لا تفيد هذا مع الاقرار بجواز الخطا
على غير المعصوم الا ان ينازع في هذه القاعدة فتسقط مكالمته وهذا
هو داخل تحت الوعيد فان استحل مع ذلك سب من خالفه وقرض عرضه
ودينه بلسانه او انتقل من هذا الى عقوبته او السعي في اذاه فهو
من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين واعلم ان للعبادة اربع
قواعد وهي التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه وقيام ذلك
بالقلب واللسان والجوارح فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الاربع
فاصحاب العبادة حقاً هم اصحابها فقول القلب هو اعتقاد ما
اخبر الله تعالى عن نفسه واخبر رسوله صلعم عن ربه من اسمائه
وصفاته وافعاله وملائكته ولقائه وما اشبه ذلك وقول
اللسان الاخبار عنه بذلك والدعا اليه والذب عنه وتبيين بطلان
البدع المخالفة له والقيام بذكره تعالى وتبليغ امره وعمل
القلب كالمحبة له والتوكل عليه والانابة والخوف والرجا والاخلاص
والصبر على اوامره ونواهيه واقداره والرضا به وله وعنه
والموالاة فيه والمعاداة فيه والاخبات اليه والطمانينة
به ونحو ذلك من اعمال القلوب التي فرضها اكد من فرض اعمال
الجوارح واما اعمال الجوارح فكالصلاة والجهاد ونقل الاقدام
الى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز الى الخلق ونحو ذلك فقول
العبد في صلاته اياك نعبد ~~وايك~~ التزام احكام هذه الاربعة

واقرار بهما وقوله وإياك نستعين
طلب الاعانة عليهما والتوفيق لهما وقوله
اهدنا الصراط المستقيم متضمن للامرين
على التفصيل والهام القيام بهما
وسلوك طريق السالكين
الى الله تعالى والله الموفق
بمنه وكرمه والحمد لله وحده
وصلى الله على من لا نبي بعده
وآله وصحبه ووارثيه
وحزبه تمت
هذه الرسالة على
يد الفقير الفاني
المرحوم محمد المكي
جعفر ابن
محسن عمه
البغدادي

٣